Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.

THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

كتاب

الحكمة في مخلوقات الله عز وجل

تصنيف الشيخ الامام العالم العلامة الزاهد العارف
حجة الاسلام ناصر الشريعة شرف الامة كهف الملة
امام الحقيقة والطريقة زين الدين أبي حامد
محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس
الله تعالى روحه ونور ضريحه
وحشرنا في زمرته
آمين

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

الطبعة الثانية

(على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد امين الخانجي وأخيه بمصر)

سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

حقوق الطبع محفوظة

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر - لصاحبها محمد اسماعيل »

893.7G34
R4

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله الذي جعل نعمته في رياض جنان المقربين، وخص بهذه الفضيلة من عباده المتفكرين، وجعل التفكر في مصنوعاته وسيلة لرسوخ اليقين، في قلوب عباده المستبصرين، استدلوا عليه سبحانه بصنعته فعلموه، وتحققوا أن لا إله الا هو فوحدوه، وشاهدوا عظمته وجلاله فنزهوه، فهو القيم بالقسط في جميع الاحوال، وهم الشهداء على ذلك بالنظر والاستدلال، فعلموا أنه الحليم القادر العليم، كما قال في كتابه الكريم، شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين وشفيع المذنبين محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وشرف وكرم الى يوم الدين، (أما بعد) يا أخي وفقك الله توفيق العارفين، ورجع لك خير الدنيا والدين، إنه لما كان الطريق الى معرفة الله سبحانه والتعظيم له النظر في مخلوقاته والتفكر في عجائب مصنوعاته، وفهم الحكمة في أنواع مبتدعاته، وكان ذلك هو السبب لرسوخ اليقين، وفيه تفاوت درجات المتقين، وضعت هذا الكتاب منبها لعقول أرباب الالباب بتعريف وجوه من الحكم والنعم التي يشير اليها معظم آى الكتاب، فان الله تعالى خلق العقول وكمل هداها بالوحي وأمر أربابها بالنظر في مخلوقاته، والتفكر

والاعتبار بما أودعه من العجائب في مصنوعاته ، لقوله سبحانه (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (وجعلنا من الماء كل شئ حيّ أفلا يؤمنون) الى غير ذلك من الآيات البينات والدلالات الواضحات التى بفهمها والترقى فى اختلاف معانيها تعظم المعرفة بالله سبحانه التي هى سبب السعادة ، والفوز بما وعد به عباده من الحسني وزيادة ، وقد بوبته أبوابا يشتمل كل باب على ذكر وجه الحكمة من النوع المذكور فيه من الخلق وذلك حسب ما تنبهت له عقولنا فيما أشرنا اليه مع أنه لو اجتمع جميع الخلائق على أن يذكروا جميع ما خلق الله سبحانه وتعالى وما وضع من الحكم فى مخلوق واحد من مخلوقاته لعجزوا عن ذلك وما أدركته الخلائق من ذلك ما وهب الله سبحانه لكل منهم وما سبق له من ربه سبحانه والله المسؤل أن ينفعنا به برحمته وجوده

﴿ باب التفكر فى خلق السماء وفى هذا العالم ﴾

قال الله تعالى (أفلا ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) وقال تعالى سبحانه (الله الذي خلق سبع سموات الآية) اعلم رحمك الله انك اذا تأملت هذا العالم بفكرك وجدته كالبيت المبنى المعدّ فيه جميع ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منصوبة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شئ من ذلك معدّ مهيأ لشأنه والانسان كالمالك للبيت المخول لما فيه فضروب النبات لما به وأصناف الحيوانات مصروفة فى مصالحه فخلق سبحانه السماء وجعل سبحانه ملونها أشدّ الالوان موافقة للابصار وتقوية لها ولو كانت أشعة أو أنواراً لاضرت الناظر اليها فان النظر الى الخضرة والزرقة موافق للابصار وتجد النفوس عند رؤية السماء في سعتها نعيما وراحة لا سيما اذا انفطرت نجومها وظهر نور قمرها والملوك تجعل فى سقوف مجالسها من النقش والزينة ما يجد الناظر اليه

به راحة وانشراحاً لكن اذا داوم الناظر اليه نظره وكرره مله وزال عنه ما كان يجده برؤيته من البهجة والانشراح بخلاف النظر الى السماء وزينتها فان الناظر اليها من الملوك فمن دونهم اذا ضجر وامن الاسباب المضجرة لهم يلجؤن الى ما يشرحهم من النظر الى السماء وسعة الفضاء.. وقد قالت الحكماء بحذوك عندك من الراحة والنعيم فى دارك بمقدار ماعندك فيها من السماء.. وفيها انها حاملة لنجومها المرصعة وقمرها وبحركتها تسير الكواكب فيهتدى بها أهل الآفاق رفيها طرق لاتزال توجد آثارها من المغرب والمشرق ولاتوجد مجرة [1] ولا مقبلة صورة نور وقيل انها أنجم صغار متكاثفة مجتمعة يهتدي بها على السير من ضل وتحير في أى جهة كان فيقصدها وقيل انها المشار اليها في قوله تعالى (والسماء ذات الحبك) قيل الحبك الطرق وقيل ذات الزينة فهى دلائل واضحة تدل على فاعلها وصنعة محكمة صمدية تدل على سعة علم باريها وأمور ترتيبها كل يدل على ارادة منشيها فسبحان القادر العالم المريد. وقيل في النظر الى السماء عشر فوائد تنقص الهم وتقلل الوسواس وتزيل وهم الخوف وتذكر بالله وتنشر فى القلب التعظيم لله وتزيل الفكر الردية وتنفع من مرض السوداء وتسلى المشتاق وتؤنس المحبين وهى قبلة دعاء الداعين

﴿ باب في حكمة الشمس ﴾

قال الله سبحانه (وجعل الشمس سراجا) إعلم أن الله سبحانه خلق الشمس لأمور لا يستكمل علمها الا الله وحده فالذى ظهر من حكمته فيها أن جعل حركاتها لاقامة الليل والنهار فى جميع أقاليم الارض ولولا ذلك لبطل أمر الدين أولولاه كيف كان يكون الناس يسعون فى معايشهم ويتصرفون فى أمورهم والدنيا مظلمة عليهم وكيف كانوا يتهنون بالعيش مع فقدهم لذة

(١) هكذا الاصل

النور ومنفعته ولولا ضياء نورها ما انتفع بالأبصار ولم تظهر الألوان .. وتأمل غروبها وغيبتها عمن طلعت عليهم وما فى ذلك من الحكمة ولولاه لم يكن للخلق هدو ولا قرار مع شدة حاجتهم الى الهدو وراحة أبدانهم وخمود حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم طعامهم وتفنيد الغذاء ثم كان الحرص يحلهم على مداومة العمل ومطاولته على مايعظم مكانته في أبدانهم فان أكثر الحيوانات لولا دخول الليل ماهدوا ولا قروا من حرصهم على نيل ماينتفعون به ثم كانت الارض تحمى بدوام شروق الشمس واتصاله حتى يحترق كل ما عليها من الحيوانات والنباتات فهى بطلوعها فى وقت وغروبها في وقت في النور بمنزلة سراج لأهل بيت يستضاء به وقتاً ويغيب وقتاً ليهدوا ويقروا وهى في حرها بمنزلة النار يطبخ بها أهل الدار حتى اذا كمل طبيخهم واستغنوا عنها أخذها من جاورهم وهو يحتاج اليها فينتفع بها حتى اذا قضى حاجته سلمها لآخرين فهي أبداً منصرفة فى منافع أهل الارض بتضاد النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظافرين على مافيه صلاح العالم وقوامه والى هذه القضية الاشارة بقوله (قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة الآية) ثم بتقدمها وتأخرها تستقيم الفصول فيستقيم أمر النبات والحيوان .. ثم انظر الي مسيرها فى فلكها في مدة سنة وهي تطلع كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها بتقدير خالقها فلولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولما عرفت المواقيت ولو انطبق الظلام على الدوام لكان فيه الهلاك لجميع الخلق فانظر كيف جعل الله الليل سكناً ولباساً والنهار معاشاً وانظر الى ايلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وادخاله الزيادة والنقصان عليهما على الترتيب المخصوص وانظر الى اماله سير الشمس حتي اختلف بسبب ذلك الصيف والشتاء فاذا انخفضت من وسط السماء برد الهواء وظهر الشتاء واذا استوت وسط السماء اشتد القيظ واذا

كانت فيما بينهما اعتدل الزمان فيستقيم بذلك أمر النبات والحيوان باقامة هذه الأزمنة الاربعة من السنة.. وأما مافي ذلك من المصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة فى الشجر والنبات فيتولد فيها مواد الثمار ويستكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر وتشتد أبدان الحيوان وتقوى أفعال الطبيعة وفي الربيع تحرك الطبائع فى المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات باذن الله وينوّر الشجر وتهيج أكثر الحيوانات للتناسل وفي الصيف يخمر الهواء فينضج الثمار ويحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض فتتهيأ لما يصلح لذلك من الاعمال وفى الخريف يصفو الهواء فترتفع الأمراض ويعتدل الليل فيعمل فيه بعض الاعمال وتحسن فيه الزراعة وكل ذلك يأتى على تدريج وبقدر حتى لايكون الانتقال دفعة واحدة الى غير ذلك مما يطول لو ذكر فهذا مما يدلك على تدبير الحكيم العليم وسعة علمه.. ثم تفكر في تنقل الشمس فى هذه البروج لاقامة دور السنة وهذا الدور هو الذى يجمع الازمنة الأربعة الشتاء والصيف والربيع والخريف وتسير فيها على التمام وفى القدر من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهى غاياتها ثم تعود فتستأنف وقت السير وبمسيرها تكمل السنة ويقوم حساب السنة على الصحة على التاريخ بتقدير الحكيم العليم * تأمل اشراق الشمس على العالم كيف دبره تبارك وتعالى فانها لو بزغت فى موضع واحد لها لاتمدوه لما وصل شعاعها الا الى جهة واحدة وخلت عنها جميع الجهات فكانت الجبال والجدران تحجبها عنها فجعلها سبحانه تشرق بطلوعها أول النهار من المشرق فيعم شروقها مايقابلها من جهة المغرب ثم لاتزال تدور وتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي الى الغرب على ما استتر عنها أول النهار فلا يبقي موضع حتي يأخذ بقسطه منها.. ثم انظر الى مقدار الليل والنهار كيف وقتهما سبحانه على مافيه صلاح العالم فصارا بمقدار لو تجاوزاه لأضر بكل ماعلى وجه الارض من

حيوان ونبات اما الحيوان فكان لايهد أولا يقر مادام يجد ضوء النهار وكانت البهائم لاتمسك عن الرعى فيؤل أمرها الى تلفها وأما النبات فتدوم عليه حرارة الشمس وتوهجها فيجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقداره أيضاً لكان معيقاً لأصناف الحيوان عن الحركة والتصرف فى طلب المعاش وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات فيعفن ويفسد كالذى يحدث على النبات اذا كان الموضع لاتقع الشمس عليه

﴿باب فى خلقة القمر والكواكب﴾

قال الله سبحانه وتعالى (تبارك الذي جعل فى السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيرا) اعلم وفقك الله ان الله سبحانه وتعالى لما جعل الليل لبرد الهواء وهدوء الحيوان وسكونه فلم يجعله سبحانه ظلمة داجية لاضياء فيها البتة فكان لايمكن أن يعمل عملا فيه وربما احتاج الناس الى بعض أعمالهم فى الليل اما لضرورة أولضيق وقت عليهم من النهار وقد يقع ذلك لشدة حرارة أو لغيره من الاسباب فكان ضوء القمر فى الليل من جملة ماتحتاج اليه فى المعونة على ذلك فجعل طلوعه في بعض الليالى ونقص نوره عن نور الشمس وحرها لئلا ينشط الناس فى العمل نشاطهم لكل مابه يتمتعون من الهدو والقرار فيضر ذلك بهم وجعل فى الكواكب جزءا من النور يستعان به اذا لم يكن ضوء القمر وجعل فى الكواكب زينة السماء وأنساً وانشراحاً لاهل الارض فانظر ما ألطف هذا التدبير جعلت للظلمة دولة ومدة للحاجة اليها وجعل خلالها شئ من النور ليكمل به ما احتيج اليه ... ثم فى القمر علم الشهور والسنين وهو صلاح ونعمة من الله ثم فى النجوم مآرب أخرى فان فيها دلائل وعلامات على أوقات كثيرة لعمل من الاعمال كالزراعة والغراسة والاهتداء بها فى السفر فى البر والبحر وأشياء مما تحدث من الانواء والحر والبرد وبها يهتدى السيارون

في ظلمة الليل وتقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة كما قال تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر) مع ما في ترددها في السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من البهجة والنضارة وفى تصريف القمر خاصة في استهلاله ومحاقه وزيادته ونقصانه واستنارته وكسوفه كل ذلك دلالات على قدرة خالقها المصرف لها هذا التصرف لاصلاح العالم.. ثم انظر دوران الفلك بهذه الكواكب فى كل يوم وليلة دورانا سريعاً وسيرها معلوم مشاهد فانا نشاهدها طالعة وغاربة ولولا سرعة سيرها لما قطعت هذه المسافة البعيدة فى أربعة وعشرين ساعة فلولا تدبير البارى سبحانه بارتفاعها حتى خفي عنا شدة مسيرها فى فلكها لكانت تختطف بتوهجها لسرعة حركاتها كالذى يحدث أحياناً من البروق اذا توالت في الجو فانظر لطف البارى سبحانه فى تقدير سيرها فى البعد البعيد لكيلا يحدث من سيرها حادث لا يحتمل فهى مقدرة في جميع الاحوال على قدر الحاجة وانظر فى هذه التي تظهر فى بعض السنة وتحتجب فى بعضها مثل الثريا والجوزاء والشعري فانها لو كانت كلها تظهر في وقت واحد لم يكن لشئ منها دلالة على جهالة تعرفها الناس ويهتدون بها فكان في طلوع بعضها فى وقت دون الآخر ما يدل على ما ينتفع به الناس عند طلوعه مما يصلحهم ولذلك جعلت بنات نعش ظاهرة لا تغيب لضرب من المصلحة فانها بمنزلة الاعلام التي يهتدى بها الناس للطرق المجهولة في البر والبحر فانها لا تغيب ولا تتوارى.. ثم انظر لو كانت واقفة لبطلت الدلالات التى تكون من تنقلات المنتقلة منها ومصيرها فى كل واحد من البروج كما يستدل على أشياء تحدث فى العالم بتنقل الشمس والقمر في منازلها ولو كانت منتقلة كلها لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يقاس عليه لانه انما يعرف مسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الدائمة

كما يعرف سير السائر على الارض بالمنازل التى يجتاز عليها فقد صار هذا الفلك شمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على هذا العالم دورانا دائما في الفصول الاربعة من السنة لصلاح ما فيه من حيوان ونبات وغير ذلك بتقدير العزيز العليم ، ومن عظيم الحكمة خلق الافلاك التى بها ثبات هذا العالم على نهاية من الاتقان لطول البقاء وعدم التغير فقد كفي الناس التغير في هذا الامر الجليل الذي ليس قدرة ولا حيلة في اصلاحه لو نزل به تغير يوجب ذلك التغير أمراً فى الارض اذ قوام الارض مرتبط بالسماء فالامر فى جميع ذلك ماض على قدرة الباري سبحانه لا يختل ولا يعتل ولا يتخلف منه شيء عن ميقاته لصلاح العالم فسبحان العليم القدير

﴿ باب في حكمة خلق الارض ﴾

قال تعالى (والارض فرشناها فنعم الماهدون) ثم انظر كيف جعل الله الارض مهاداً ليستقر عليها الحيوان فانه لابد له من مستقر ولاغناء له عن قوت فجميع الارض محل للنبات لقوته ومسكن يكنه من الحر والبرد ومدفن يدفن فيه ما تؤذي رائحته والجيف والاقذار من أجسام بنى آدم وغيرها كما قال سبحانه (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) قيل في تفسير هذه الآية هذا القول وغيره ثم ذلل طرقها لتنتقل فيها الخلق لطلب مآربهم فهي موضوعة لبقاء النسل من جميع أصناف الحيوان والحرث والنبات وجعل فيها الاستقرار والثبات كما نبه على ذلك سبحانه وتعالى بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم) فأمكن الخلائق بهذا التصرف فيها فى مآربهم والجلوس لراحتهم والنوم لهدوهم والانتقال لاعمالهم فانها لو كانت رجراجة متحركة لم يستطيعوا أن يتقنوا شيئاً من النبات وجميع الصناعات وكانوا لا يتهنون بالعيش والارض ترتج بهم من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس فى الزلازل ترهيبا للخلق وتخويفا لهم

لعلهم يتقون الله وينزعون عن الظلم والعصيان، فهذا أيضاً من الحكمة البالغة ثم ان الارض طبعها الله باردة يابسة بقدر مخصوص أرأيت لو أفرط اليبس عليها حتى تكون بجملتها حجراً صلداً لما كانت تنبت هذا النبات الذى به حياة الحيوانات ولا كان يمكن فيها حرث ولا بناء فجعلها لينة لتتهيأ لهذه الاعمال، ومن الحكمة فى خلقها ووضعها أن جعل مهب الشمال أرفع من الجنوب لينحدر الماء على وجه الارض فيسقيها ويرويها ثم يصير الى البحر في آخر الامر فأشبه ذلك ما اذا رفع أحد جانبى السطح وخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولولا ذلك لبقى الماء مستبحراً على وجه الارض فيمتنع الناس من أعمالهم وتنقطع الطرق والمسالك بسبب ذلك. انظر الى ماخلق الله فيها من المعادن ويخرج منها من أنواع الجواهر المختلفة في منافعها وألوانها مثل الذهب والفضة والياقوت والزمرد والبسنفش وأشياء كثيرة من هذه الاحجار الشفافة المختلفة فى ألوانها وأنواع أخر مما يصلح الاعمال والجمال كالحديد والنحاس والفزديروالرصاص والكبريت والزرنيخ والتوتيا والرخام والجبس والنفط وأنواع لو عددت لطال ذكرها وهو مما ينتفع به الناس وينصرف فيما يصلحهم فهذه نعم يسرها سبحانه لهم لعمارة هذه الدار، ثم انظر الى ارادة ايجاده من عمارتها وانتفاع العباد بها لجعلها هشة سهلة بخلاف. لو كانت على نحو خلق الجبال فلو يبست كذلك لتعذرت فان الحرث لا يستقيم الا مع رخاوة الارض لزراعة الاقوات والثمر والا لا يتعدى اذا صلبت الماء الى الحب مع أن الحب لا يمكن دفنه الا بعد أن تلين الارض بالنداوة ويأخذ الورق وهي ضعيفة فى ابتدائها فى الارض التربة ويمكن اذ ذاك عملها وتحريكها حتى تشرب ماينزل عليها من الماء فيخلق الله سبحانه عند ذلك العروق ملتبسة بالثرى حتى يقف الشجر والنبات على ساقه وجعل مايخلق من العروق يوازن مايخلق من الفروع، ومن رحمته في لينها أن ييسر للناس حفر الآبار فى المواضع

المحتاجة الى ذلك اذ لو حفرت في الجبال لصعب الامر وشق، ومن الحكمة فى لينها تيسير السير للسعاة فيها اذ لو صلبت لعسر السير ولم تظهر الطرق وقد نبه الله تبارك وتعالى على ذلك بقوله (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها) وقال تعالى (وجعل فيها سبلا فجاجا لعلهم يهتدون) ومن ذلك ما يستعين به العباد من ترابها ولينها في البناء وعمل اللبن وأواني الفخار وغير ذلك والمواضع التى ينبت فيها الملح والشب والبورق والكبريت أكثرها تربة رخوة وأيضا أجناس من النبات لا توجد الا فى التراب والرمل دون الارض المجبلة ويخلق فيها كثير من الحيوان لسهولة حفرها فيتخذون فيها مسارب وبيوتا يأوون اليها ومن الحكمة فيها خلق المعادن كما ذكر فقد امتن سبحانه على سليمان عليه السلام بذلك فقال (وأسلنا له عين القطر) أى سهلنا له الانتفاع بالنحاس وأطلعناه على معدنه وقال امتنانا على عباده (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) والنزول بمعنى الخلق كما قال سبحانه (وأنزل لكم من الانعام) أي خلق وألهمهم استخراج ما فيها من ذهب وفضة وغير ذلك لمنافعهم وما يحتاجون اليه فى معاشهم وفي اتخاذ أوانيهم وفى ضبط ما يحتاجون الى ضبطه وتقويته واتخاذ أنواع من الحجارة النفيسة لتبقي فيها كالزجاج ويتخذون منها أوانى لحفظ ما يجعل فيها من الاموال النفيسة لتبقي فيها سليمة لوقت الاحتياج اليها اذ لا غنى لهم عنها وكذلك يستخرج من المعادن الاكحال مثل (الدهبخ والاثمد) والسادن والتوتيا وغير ذلك من أصناف ينتفعون بها فسبحان المنعم الكريم، ومن الحكمة البالغة فيها خلق الجبال قال الله تعالى (والجبال أرساها) وقال تعالى (وجعل فيها رواسى أن تميد بكم) وقال سبحانه (وأنزلنا من السماء ماء فأسكناه فى الارض) فقد خلق سبحانه فيها الجبال لمنافع متعددة لا يحيط بجميعها الا الله، فمن ذلك أن الله تعالى أنزل من السماء المياه ليحيي بها العباد والبلاد فلو كانت الارض عارية

عن الجبال لحكم عليها الهواء وحر الشمس مع رخاوة الارض فكانوا لا يجدون المياه الا بعد حفر وتعب ومشقة فجعل سبحانه الجبال لتستقر فى بطونها المياه وتخرج أولا فأولا فتكون منها عيون وأنهار وبحار يرتوى بها العباد فى أيام القيظ الى أوان نزول غيث السماء ومن الجبال ما ليس فى باطنها محل للمياه فجعل الثلج محفوظا على ظاهرها الى أن يحله حر الشمس فيكون منه أنهار وسواق ينتفع بها الى أوان نزول الغيث أيضاً ، ومنها ما يكون فيه برك يستقر فيها الماء فيؤخذ منها وينتفع به كما ينتفع به من الاحباب ومن مناقع الجبال ما ينبت فيها من أنواع الاشجار والعقاقير التى لا توجد الا فيها وما ينبت فيها من أنواع الاخشاب العظيمة فيعمل منها السفن وتعمر منها المساكن وفيها الشمارى التى لا يوجد ما يعظم من الاخشاب الا فيها وكذلك العقاقير أكثرها لا يوجد الا بها وفيها وهاد تنبت مزارع للانعام ومزارع لبنى آدم ومساكن للوحوش ومواضع لاجناح النحل ، ومن منافع الجبال ما يتخذه العباد من مساكن تقيهم الحر والبرد ويتخذون مدافن لحفظ جثث الموتى وقد ذكر الله ذلك فقال (وتتخذون من الجبال بيوتاً آمنين) ومن فوائدها أن جعلت اعلاما يستدل بها المسافرون على الطرقات فى نواحى الارض ويستدل بها المسافرون فى البحار على المين والسواحل ، ومن فوائدها أن الفئة القليلة الضعيفة الخائفة من عدوان من لا تطيقه تتخذ عليها ما يحصنها ويؤمنها ويمنعها ممن تخافه فتطمئن لذلك وانظر كيف خلق الله فيها الذهب والفضة وقدرهما بتقدير مخصوص ولم يجعل ذلك ميسراً فى الوجود والفقد مع سعة قدرته وشمول نعمته كما جعل هذه السعة فى المياه وما ذلك الا لما سبق فى علمه لخلائقه مما هو الاصلح كما أشار الى ذلك بقوله (وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) فسبحان العليم الحكيم

﴿ باب في حكمة البحر ﴾

قال الله تبارك وتعالى (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) الآية اعلم رحمك الله أن الله سبحانه وتعالى خلق البحار وأوسع فيها لعظم نفعها فجعلها مكتنفة لاقطار الارض التى هي قطعة من الارض المستورة بالبحر الاعظم المحيط بجميع الارض حتى ان جميع المكشوف من البرارى والجبال عن الماء بالاضافة الى الماء كربوة صغيرة في بحر عظيم، فاعلم أن ما يخلق في الارض من الحيوان بالاضافة الى ماخلق فى البحر كاضافة الارض الى البحر وقد شاهدت فيها عجائب ما هو مكشوف منها فتأمل عجائب البحر فان فيه من الحيوان والجواهر والطيب أضعاف مانشاهده على وجه الارض كما أن سعته أضعاف سعة الارض وعظم سعته كان فيه من الحيوانات والدواب العظيمة ما اذا أبدت ظهورها على وجه البحر ظن من يراها أنها حشاف أو جبال أو جزائر وما من صنف من أصناف حيوان البر من انسان وطائر وفرس وبقر غير ذلك الا وفي البحر أمثالها وأضعافها وفيه أجناس من الحيوانات لم تعهد أمثالها في البر وكل منها قد دبره البارى سبحانه وخلق فيه مايحتاجه ويصلحه ولو استقصى ذكر مايحتويه بعضه لاحتاج الى وضع مجلدات، ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ مدوراً فى صدف تحت الماء وأنبت المرجان في جنح صخور في البحر فقال سبحانه (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وذلك فى معرض الامتنان وقيل المرجان المذكور في القرآن هو الرقيق من اللؤلؤ ثم قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وآلاؤه تفضله ونعمه ثم انظر مايقذفه من العنبر وغيره من المنفوع ثم انظر الي عجائب السفن وكيف مسكها على وجه الماء تسير فيها العباد لطلب الاموال وتحصيل مالهم من الاغراض جعلها من آياته ونعمته فقال (والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس) فجعلها بتسخيره تحملهم وتحمل أثقالهم وينتقلون بها من أقاليم الى أقاليم

لا يمكن وصولهم اليها الا بالسفن ولو راموا التوصل بغيرها الأدى الي أعظم المشقات وعجزوا عن نقل ماينقل من المنقولات الى مابعد من البلاد والجهات فلما أراد الله سبحانه وتعالى أن يلطف بعباده ويهون ذلك عليهم خلق الاخشاب متخلخلة الاجزاء بالهواء ليحملها الماء ويبقى فيها من الفضاء عن نفسها ماتحمل به الانقال وألهم العباد تخاذها سفنا ثم أرسل الرياح بمقادير فى أوقات تسوق السفن وتسيرها من موضع الى موضع آخر ثم ألهم أربابها معرفة أوقات هبوبها وفترتها حتى يسيروا بالرياح التى تحمل شراعها و نظر الى مايسره سبحانه في خلقه الماء اذ هو جسم لطيف رقيق سيال متصل الاجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطع حتي كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال حتى يمكن سير السفن فيه فالعجب ممن يغفل عن نعمة الله في هذا كله وفى بعضه متسع للفكر وكل ذلك شواهد متظاهرة ودلائل متضافرة وآيات ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال قدرته وعجائب حكمته قائلة أما ترى تصويرى وتركيبي وصفائى زمناً واختلاف حالى وكثرة فوائدي أيظن ذولب سليم وعقل رصين انى تكونت بنفسى أو ابدعنى أحد من جنسى بل ذلك صنع القادر القهار العزيز الجبار

﴿ باب في حكمة خلق الماء ﴾

قال الله تبارك وتعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وقال عز شأنه (فانشأنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أاله مع الله بل قوم يعدلون) انظر وفقك الله الى مامن به سبحانه وتعالى على عباده بوجود الماء العذب الذى به حياة كل من على وجه الارض من حيوان ونبات فلو اضطر الانسان الى شربة منه ومنع منها لهان عليه أن يبذل فيها مايمكنه من خزائن الدنيا. والعجب من غفلة العباد عن هذه النعمة العظيمة وانظر مع

شدة الحاجة اليها كيف وسع سبحانه على العباد فيها ولو جعلها بقدر لضاق الامر فيها وعظم الحرج على كل من سكن الدنيا، ثم انظر لطافة الماء ورقته حتى ينزل من الارض ويخالط أجزاءها فتتغذى عروق الشجر ويصعد بلطافته بواسطة حرارة الشمس الى اعالى الشجر والنبات وهو من طبعه الهبوط ولما كانت الضرورة تدعو الى شربه لاماعة الاغذية في أجواف الحيوان ليتصرف الغذاء الى موضعه جعل لشاربه فى شربه لذة عند حاجته اليه وقبولا له ويجد شاربه فيه نعيما وراحة وجعل مزيلا للأدران عن الابدان والاوساخ عن الثياب وغيره وبالماء يبل التراب فيصلح للبناء والاعمال وبه يرطب كل يابس مما لايمكن استعماله يابسا وبه ترقق الاشربة فيسوغ شربها وبه تطفأ عادية النار اذا وقعت فيها فلا تلتهب فيه وأشرف الناس منها عليها يكرهون وبه تزول الغصة اذا أشرف صاحبها على الموت وبه يغتسل النعب الكائن فيجد الراحة لوقته وبه تستقيم المطبوخات وجميع الاشياء التي لاتستعمل ولا تصلح الارطبة الى غير ذلك من مآرب العباد التى لاغنى لهم عنها فانظر فى عموم هذه النعمة وسهولة تناولها عن قدرها مع شدة الحاجة اليها فلو ضاقت لتكدرت الحياة فى الدنيا فعلم بهذا ان الله تبارك وتعالى اراد بانزاله وتيسيره عمارة الدنيا بما فيها من حيوان ونبات ومعدن الى غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها الوصف لمن يروم حصرها فسبحان المتفضل العظيم

﴿باب الحكمة فى خلق الهواء﴾

قال الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما أنتم له بخازنين) اعلم رحمك الله ان الهواء فى خلقه تتخلخله الرياح ولولا ذلك لهلك جميع حيوان البر باستنشاقه تعتدل الحرارة في أجسام جميع الحيوانات لانه لهم مثل الماء لحيوان البحر فلو انقطع عن الحيوان استنشاقه انصرفت

الحرارة التي فيها الى قلبها فكان هلاكها بسبب ذلك ثم انظر الى الحكمة في سوق السحاب به فيقطع المطر بانتقال السحاب الى موضع يحتاج الى المطر فيها للزراعة فلولا لطف البارى بخلق الرياح لثقلت السحائب وبقيت راكدة فى اماكنها وامتنع انتفاع الارض بها ثم انظر عنها كيف تسير السفن بها وتنتقل بحدوثها وهبوبها فتحمل فيها من أقاليم الى أقاليم مما لا يخلق تلك الاشياء فيها فينتفع أهلها بها فلولا تنقلها بالهواء لم تكن تلك الاشياء الا بمواضعها التى خلقت فيها خاصة ولعسر نقلها بالدواب الى غيرها من الاقاليم وللعباد ضرورات تدعو الى ما ينقل اليهم مما ليس يخلق عندهم ومنافع يكثر تعدادها من طلب أرباح لمن يحملها ويعلم فوائدها ثم انظر الى ما فى الهواء من اللطافة والحركة يتخلل اجزاء العالم فيبقى بحركته عفن الارض فلولاه لعفنت المساكن وهلك الحيوان بالوباء والعلل ثم انظر الى ما يحصل منه من النفع في نقل السوافى والرمال الى البساتين وتقوية أشجارها بما ينتقل اليها من التراب بسبب حركة الهواء وتستر وجوه جبال بالسوافى فيمكن الزراعة فيه وما فصل الى السواحل مما ينتفع الناس بسببه وكل ذلك بحركة البحر بالهواء فيقذف البحر العنبر وغيره مما ينتفع به العباد فى أمورهم ثم انظر كيف يتفرق المطر بسبب حركة الهواء فيقع على الارض قطرات فلو لا حركة الهواء لكان الماء عند نزوله ينزل انصبابة واحدة فيهلك ما يقع عليه ثم يجتمع بل القطرات فيجتمع أنهاراً وبحاراً على وجه الارض من غير تضرر ويحصل بذلك مقصودهم على أحسن وجه فانظر الى أثر رحمة الله فسبحان اللطيف بخلقه المدبر لملكه ثم انظر عموم هذه الرحمة وعظيم نفعها وشمول هذه النعمة وجليل قدرها كما نبه المقول عليها بقوله تعالى (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

ثم من تمام النعمة وعظيم الحكمة ان جعل سبحانه الصحو يتخلل نزول الغيث فضارا يتعاقبان لما فيه صلاح هذا العالم فلو دام واحد منهما عليه لكان فساداً . ألا ترى ان الامطار اذا توالت وكثرت عفنت البقول والخضروات وهدمت المساكن والبيوت وقطعت السبل ومنعت من الاسفار وكثير من الحرف والصناعات ولو دام الصحو لجفت الابدان والنبات وعفن الماء الذى في العيون والاودية فأضر ذلك بالعباد وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً آخر من الامراض وغلت بسببه الاسعار من الاقوات وبطل المرعى وتعذر على النحل ما يجده من الرطوبة التى يرعاها على الازهار واذا تعاقبا على العالم اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر فصلحت الاشياء واستقامت وهذا هو الغالب من مشيئة الله * فان قيل قد يقع من أحدهما ضرر في بعض الاوقات . قلنا قد يكون ذلك لتنبيه الانسان بتضاد الاشياء على نعمة الله تعالى وفضله ورحمته أنه هو الغالب فيحصل لهم بذلك انزجار عن الظلم والعصيان ألا ترى ان من سقم جسمه احتاج الى ما يلائمه من الادوية البشعة الكريهة ليصلح جسمه ويصح ما فسد منه قال الله (ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير)

﴿ باب في حكمة خلق النار ﴾

قال الله تعالى (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم) اعلم وفقنا الله واياك أن الله خلق النار وهي من أعظم النعم على عباده ولما علم الله سبحانه وتعالى ان كثرتها وبثها في العالم مفسدة جعلها الله بحكمته محصورة حتي اذا احتيج اليها وجدت واستعملت في كل أمر يحتاج اليها فيه فهى مخزونة فى الاجسام ومنافعها كثيرة لا تحصى فمنها ما تصلحه من الطبائخ والاشربة التى لولاها لم يحصل فيها نضج ولا تركيب ولا اختلاط ولا صحة هضم لمن

يستعملها في أكل وشرب فانظر لطف البارى سبحانه في هذا الامر المهم ثم انظر فيما يحتاج الناس اليه من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقزدير وغير ذلك فلولاها لم يمكن شيء من الانتفاع من هذه الاشياء فبها يذاب النحاس فتعمل منه الاواني وغيرها وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك بانها نعمة توجب الشكر فقال تعالى (اعملوا آل داود شكراً) وبها يلين الحديد فيعملون به أنواعا من المنافع والآلات للحروب مثل الدروع والسيوف الى غير ذلك مما يطول تعداده وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك فقال (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وقال تعالى (ليحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون) ومنه يعمل آلات للحرث والحصاد وآلات تثأر بها النار وآلات يطرق بها وآلات لقطع الجبال الصمة وآلات لنجارة الاخشاب مما يكثر تعدادها فلولا لطف الله سبحانه بخلق النار لم يحصل من ذلك شيء من المنافع ولولاها لما كان يتهيأ للخلق من الذهب والفضة نقود ولا زينة ولا منفعة وكانت هذه الجواهر معدودة من جملة الاتربة ثم انظر الى ما جعل الله تعالى في النار من الفرح والترح عند ما تغشى الناس ظلمة الليل كيف يستضيئون بها ويهتدون بنورها في جميع أحوالهم من أكل وشرب وتمهيد مراقد ورؤية مايؤذيهم ومؤانسة مرضاهم وقصدها والعمل عليها براً وبحراً فيجدون بوجودها انسا حتى كأن الشمس لم تغب عن أفقهم ويدفعون بها ضرر الثلوج والرياح الباردة ويستعينون بها فى الحروب ومقاومة حصون لا تملك الا بها فانظر ما أعظم قدر هذه النعمة التي جعل سبحانه حكمها بأيديهم ان شاؤا خزنوها وان شاؤا أبرزوها

﴿باب في حكمة خلق الانسان﴾

قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) الى آخر ما وصفه

سبحانه . اعلم وفقك الله تعالى أن الله عز وجل لما سبق في علمه خلق الخلق وبثهم فى هذه الدار وتكليفهم فيها للبلوى والاختبار خلقهم سبحانه متناسلين بعضهم من بعض فخلق سبحانه الذكر والانثى وألقى فى قلوبهم المحبة والدواعى حتى عجزوا عن الصبر وعدموا الحيلة فى اجتناب الشهوة فساقتهم الشهوة المفطورة في خلقهم الى الاجتماع وجعل الفكرة تحرك عضواً مخصوصا به الى ايداع الماء فى القرار المكين الذى يخلق فيه الجنين فاجتمعت فيه النطفة من سائر البدن وخرجت ماء دافقا منذفقا من بين الصلب والترائب بحركة مخصوصة فانتقلت بسبب الافلاج من باطن الى باطن فكانت مع انتقالها باقية على أصلها لانها ماء مهين أدنى شئ يباشرها يفسدها ويغير مزاجها فهي ماء مختلط جميعه مستوية أجزاؤه لا تفاوت فيها بحال فخلق سبحانه منه الذكر والانثى بعد نقلها من النطفة الى العلقة الى المضغة الى العظام ثم كساها اللحم وشدها بالاعصاب والاوتار ونسجها بالعروق وخلق الاعضاء وركبها فدور سبحانه الرأس وشق فيه السمع والبصر والانف والفم وسائر المنافذ فجعل العين للبصر ومن العجائب سر كونها مبصرة للاشياء وهو أمر يعجز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات لكل طبقة صفة وهيئة مخصوصة بها ولو فقدت طبقة منها أو زالت لتعطلت عن الابصار . وانظر الى هيئة الاشفار التى تحيط بها وما خلق فيها من سرعة الحركة لتقي العين مما يصل اليها مما يؤذيها من غبار وغيره فكانت الاشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها ولما كان المقصود من الاشفار جمال العين والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة تضر بالعين ولا ينقص نقصا يضر بها وخلق فى مائها ملوحة لتقطيع ما يقطع فيها وجعل طرفيهما منخفضين عن وسطهما قليلا لينصرف ما يقع في العين لاحد الجانبين وجعل الحاجبين جمالا للوجه وستراً للعينين وشعرهما يشبه الاهداب

في عدم الزيادة المشوهة وجعل شعر الرأس واللحية قابلا للزيادة والنقص فيفعل فيهما ما يقصد به الجمال من غير تشويه .. ثم انظر الى الفم واللسان وما فى ذلك من الحكم فجعل الشفتين ستراً للفم كأنهما باب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه وهو ستر على اللثة والاسنان مفيد للجمال فلولاهما لتشوهت الخلقة وهما معينان على الكلام واللسان للنطق والتعبير عما في ضمير الانسان وتقليب الطعام وإلمائه تحت الاضراس حتي يستحكم مضغه ويسهل ابتلاعه ثم جعل الاسنان أعدادا متفرقة ولم تكن عظما واحداً فان أصاب بعضها ثلم انتفع بالباقى وجمع فيها بين النفع والجمال وجعل ما كان منها معكوسا زائد الشعب حتى تطول مدته مع الصف الذى تحته وجعلها صلبة ليست كعظام البدن لدعاء الحاجة اليها على الدوام وفي الاضراس كبر وتسريف لأجل الحاجة الى درس الغذاء فان المضغ هو الهضم الاول وجعلت الثنايا والانياب لتقطيع الطعام وجمالا للفم فأحكم أصولها وحدد دروسها وبيض لونها مع حمرة ما حولها وجعلها متساوية الرأس متناسبة التركيب كأنها الدر المنظوم . ثم انظر كيف خلق في الفم نداوة محبوسة لا تظهر الا في وقت الحاجة اليها فلو ظهرت وسالت قبل ذلك لكان تشويها للانسان فجعلت ليبل بها ما يمضغ من الطعام حتي يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم فاذا فقد الاكل عدمت تلك النداوة الزائدة التى خلقت للترطيب وبقي منها ما يبل اللهوات والحلق لتصوير الكلام ولئلا يجف فان جفافه مهلك للانسان . ثم انظر الى رحمة الله ولطفه اذ جعل للاكل لذة الاكل فجعل الذوق فى اللسان وغيره من أجزاء الفم ليعرف بالذوق ما يوافقه ويلائمه من المأذوذ فيجد في ذلك راحة في الطعام والشراب اذا دعت حاجة الى تناوله وليجتنب الشئ الذى لا يوافقه ويعرف بذلك حد ما تصل الاشياء اليه في الحرارة والبرودة ثم ان الله تعالى شق السمع وأودعه رطوبة مرة

يحفظ بها السمع من ضرر الدود ويقتل أكثر الهوام الذين يلجون السمع وحفظ الاذن بصدفة لتجمع الصوت فترده الى صماخها وجعل فيها زيادة حس لتحس بما يصل اليها مما يؤذيها من هوام وغيره وجعل فيها تعويجات ليتطرد فيها الصوت ولتكثر حركة مايدب فيها ويطول طريقه فيتأثر ويتنبه صاحبها من النوم ثم انظر الى ادراكه المشمومات بواسطة ولوج الهواء وذلك سر لايعلم حقيقته الا البارى سبحانه الى غير ذلك . ثم انظر كيف رفع الانف في وسط الوجه فأحسن شكله وفتح منخريه وجعل فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاقه على روائح مطاعمه ومشاربه ليتنعم بالروائح العطرة ويجتنب الخبائث القذرة وليستنشق أيضاً روح الحياة غذاء لقلبه وترويحا لحرارة باطنه ثم خلق الحنجرة وهيأها لخروج الاصوات ودور اللسان في الحركات والتقطيعات فيقطع الصوت في مجارى مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق وجعل الحنجرة مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر حتى اختلفت بسبب ذلك الاصوات فلم يتشابه صوتان كما خلق بين كل صورتين اختلافا فلم تشتبه صورتان بل يظهر بين كل صورتين فرقان حتي يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت وكذلك يظهر بين كل شخصين فرقان وذلك لسر التعارف فان الله تعالى لما خلق آدم وحواء خالف بين صورتيهما فخلق منهما خلقا جعله مخالفا لخلق أبيه وأمه ثم توالى الخلق كذلك لسر التعارف . ثم انظر لخلق اليدين وهداهما الى جلب المقاصد ودفع المضار وكيف عرض الكف وقسم الاصابع الخمس وقسم الاصابع بأنامل وجعل الاربعة في جانب والابهام في جانب فيدور الابهام على الجميع فلو اجتمع الاولون والآخرون على أن يستطيعوا بدقيق الفكر وجها آخر من وضع الاصابع سوى ماوضعت عليه من بعد الابهام عن الاربعة وتفاوت الاربعة في الطول

وترتيبها فى صف واحد لم يقدروا على ذلك وبهذا الوضع صلح بها القبض والاعطاء فان بسطها كانت طبقاً يضع عليه ما يريد وان جمعها كانت آلة يضرب بها وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة. ثم خلق الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تضعف ويلتقط بها الاشياء الدقيقة التى لا تتناولها الانامل لولاها وليحك بها جسمه عند الحاجة الى ذلك فانظر أقل الاشياء في جسمه لو عدمها وظهرت به حكة لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن دفع ما يؤلمه وجلب ما ينتفع به فى ذلك ولم يقم له غير الظفر مقامه في حك جسده لانه مخلوق لذلك ولغيره فهو لا صلب كصلابة العظام ولا رخو كرخاوة الجلد يطول ويخلق ويقص ويقصر لمثل ذلك ثم جعله يهتدى به الي الحك فى حالة نومه ويقظته ويقصد المواضع الى جهتها من جسده ولو احتاج الى غيره واستعان به فى حكها لم يعثر الغير على مواضع الحاجة الا بعد طول وتعب. ثم انظر كيف مد منه الفخذين والساقين وبسط القدمين ليتمكن بذلك من السعى وزين القدمين بالاصابع وجعلها زينة وقوة على السعى وزين الاصابع أيضاً بالاظفار وقواها بها ثم انظر كيف خلق هذا كله من نطفة مهينة ثم خلق منها عظام جسده فجعلها أجساماً قوية صلبة لتكون قواماً للبدن وعماداً له وقدرها تبارك وتعالى بمقادير مختلفة وأشكال متناسبة فمنها صغير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق ثم أودع في أنابيب هذه العظام المخ الرقيق مصاناً لمصلحتها وتقويتها. ولما كان الانسان محتاجا الى جملة جسمه وبعض أعضائه لتردده في حاجاته لم يجعل الله سبحانه عظامه عظماً واحداً بل عظاما كثيرة وبينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة فقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها

ببعض بأوتار أثبتها بأحد طرفي العظم والصق الطرف الآخر كالرباط ثم خلق فى أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ومن الآخر نقراً غائصة فيها توافق لاشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق فصار الانسان اذا أراد ان يحرك شيئاً من جسده دون غيره لم يمتنع عليه فلولا حكمة خلق المفاصل لتعذر عليه ذلك. ثم انظر كيف جعل خلق الرأس مركباً من خمس وخمسين عظماً مختلفة الاشكال والصور وألف بعضها الى بعض بحيث استوت كرة الرأس كما ترى فمنها ستة تختص بالقحف وأربعة وعشرون للحى الاعلى واثنان للحي الاسفل والبقية من الاسنان بعضها عريض يصلح للطحن وبعضها حاد يصلح للقطع ثم جعل الرقبة مركز الرأس فركبها من سبع خرازت مجوفات مستديرات وزيادات ونقصان لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربعة وعشرين خرزة وعظم العجز ثلاثة أخرى مختلفة ووصل به من أسفله عظم العصعص وهو مؤلف من ثلاثة أخرى ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين فجملة عدد العظام فى بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التى حشي بها خلل المفاصل فانظر كيف خلق البارى سبحانه وتعالى ذلك كله من نطفة رقيقة سخيفة والمقصود من ذكر اعدادها تعظيم مدبرها وخالقها وكيف خلقها وخالف بين اشكالها وخصها بهذا القدر المخصوص بحيث لو ازداد فيها واحد كان وبالا واحتاج الانسان الى قلعه ولو نقص منها واحد لاحتاج الانسان الى جبره فجعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولى الابصار وآيات بينات على عظمته وجلاله بتقديرها وتصويرها. ثم انظر كيف خلق سبحانه آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق فى بدن الانسان

خمسمائة وتسعة وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط واغشية وهي مختلفة المقادير والاشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها فاربعة وعشرون منها لحركة العين واجفانها بحيث لو نقصت منها واحدة اختل أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد يخصه وقدر يوافقه واما أمر الاعصاب والعروق والاوردة والشرايين ومنابتها وسعتها فأعجب من هذا وشرحه يطول ثم عجائب ما فيه من المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم. ثم انظر الى ماشرف به وخص في خلقه بأنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ويستقبل الامور بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل ولم يخلق مكبوباً على وجهه كعدة من الحيوانات اذ لو كان كذلك لما استطاع هذه الاعمال. ثم انظر من حيث الجملة الى ظاهر هذا الانسان وباطنه فتجده مصنوعاً صنعة بحكمة يقضي منها بالعجب وقد جعل سبحانه اعضاءه تامة بالغذاء والغذاء متوال عليها لكنه تبارك وتعالى قدرها بمقادير لا يتعداها بل يقف عندها ولا يزيد عليها فانها لو تزايدت يتوالى الغذاء عليها لعظمت أبدان بني آدم وثقلت عن الحركة وعطلت عن الصناعات اللطيفة ولا تناولت من الغذاء ما يناسبها ومن اللباس كذلك ومن المساكن مثل ذلك وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه فاذا وجدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء فلاحظ بصنعته في ملكوت السموات والارض وشمسها وقمرها وكواكبها وما حكمته في أقدارها واشكالها وعددها واوضاعها واجتماع بعضها وافتراق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها فلا تظن ان ذرة في السموات والارض وسائر عالم الله ينفك عن حكمة بل ذلك مشتمل على عجائب وحكم لا يحيط بجميعها الا الله سبحانه وتعالى الم تسمع قوله سبحانه وتعالى (أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها) الى آخر ما نبه به وتأمل لو

اجتمع الانس والجن على ان يخلقوا للنطفة سمعاً وبصراً وحياة لم يقدروا على ذلك فانظر كيف خلقها سبحانه فى الارحام وشكلها فاحسن تشكيلها وقدرها فاحسن تقديرها وصورها فاحسن تصويرها وقسم أجزاءها المتشابهة الي أجزاء مختلفة فاحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها ورتب عروقها واعصابها ودبر ظاهرها وباطنها وجعل فيها مجرى لغذائها ليكون ذلك سببا لبقائها مدة حياتها ثم كيف رتب الاعضاء الباطنة من القلب والكبد والمعدة والطحال والرئة والرحم والمثانة والامعاء كل عضو بشكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص فجعل المعدة لنضج الغذاء عصبا معيناً شديداً لحاجتها وبذلك يمكن تقطيعه وطحنه وجعل طحن الاضراس أولا معيناً للمعدة على جودة طحنه وهضمه وجعل الكبد لاحالة الغذاء الى الدم فيجذب منه الى كل عضو من الغذاء ماياسبه فغذاء العظم خلاف غذاء اللحم وغذاء العروق خلاف غذاء الاعصاب وغذاء الشعر خلاف غذاء غيره وجعل الطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال لجذب السوداء والمرارة لجذب الصفراء والكلية المائية عنه والمثانة لقبول الماء عن الكلية ثم يخرجه في مجرى الاحليل والعروق والكبد فى اتصال الدم منه الى سائر أطراف البدن وجعل جوهرها اتقن من جوهر اللحم ليصونه ويحصره فهي بمنزلة الظروف والاوعية ثم انظر كيف دبره في الرحم ولطف به ألطافا يطول شرحها ولا يستكمل العلم بجملتها الا خالقها ويعجز الواصف عن وصف ماوصل اليه نظره من ذلك .

فمن ذلك جعله فيهما لايحتاج الى استدعاء ولا يحتاج المولود الى مابين ذلك لابوعظ ولا تنبيه بل ذلك في الطباع الى وقت حاجة المولود الى الاغاثة في غذائه ولولا ذلك لنفرت الامهات عنه من شدة التعب وكلفة التربية حتى اشتد جسمه وقويت أعضاؤه الظاهرة والباطنة لهضم الغذاء فحينئذ

أنبت له الاسنان عند الحاجة اليها لا قبل ذلك ولا بعده ثم انظر كيف خلق الله فيه التمييز والعقل على التدريج الى حين كماله وبلوغه وانظر وفكر في سر كونه يولد جاهلا غير ذي عقل وفهم فانه لو كان ولد عاقلا فهما لانكر الوجود عند خروجه اليه حتى يبقى حيران تائه العقل اذ رأى مالا يعرف وورد عليه مالم يره ولم يعهد مثله ثم كان يجد غضاضه أن يرى نفسه محمولا وموضوعا معصبا بالخرق ومسجي في المهد مع كونه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الرقة والحلاوة والمحبة في القلوب ما يوجد للصغير لكثرة اعتراضه بعقله واختياره لنفسه فتبين ان ازدياد العقل والفهم فيه على التدريج أصلح به . افلا يري كيف أقام كل شئ من الخلقة على غاية الحكمة وطريق الصواب واعلمه تقلب الخطأ في دقيقه وجليله ثم انظر فيما اذا اشتد خلق فيه طريقاً وسبباً للتناسل وخلق في وجهه شعر اليميزه عن شبه الصبيان والنسوان ويجمله ويستر به غضون وجهه عند شيخوخته وان كانت أنثى أبقى وجهها نقيا من الشعر لتبقى لها بهجة ونضارة تحرك الرجال لما في ذلك من بقاء النسل . فكر الآن فيما ذكرناه ودبره سبحانه في هذه الاحوال المختلفة هل ترى مثل هذا يمكن ان يكون مهملا أرأيت لو لم يجر له الدم غذاء وهو في الرحم ألم يكن يذوى ويهلك ويجف كما يجف النبات اذا انقطع عنه الماء ولو لم يزعجه المخاض عند استكماله ألم يكن يهلك ببقائه في الرحم هو وأمه ولو لم يوافه اللبن عند ولادته ألم يكن يموت جوعا وعطشا أو يغذى بما لا يوافق ولا يصلح عليه بدنه ولو لم يخلق له الاسنان في وقتها ألم يكن يمتنع عليه مضغ الطعام وازدراده ويقيم على الرضاع ولا يشتد جسمه ولو لم يخرج له شعر الوجه لبقي في هيئة النساء والصبيان فلا ترى له هيبة ولا جلالة ولا وقاراً ومن ذا الذى يرصده حتى يوفيه بكل هذه المآرب في وقتها الا الذى أنشأه بعد ان لم يكن شيئاً

مذكورا وتفضل عليه ومن عليه بكل هذه النعم . فكر فى شهوة الجماع الداعية لاحيائه والآلة الموصلة الى الرحم النطفة والحركة الموجبة لاستخراج النطفة وما فى ذلك من التدبير المحكم ثم فكر في جملة اعضاء البدن وتهيئة كل عضو منها للارب الذي أريد منها فالعينان للاهتداء بالنظر واليدان للعلاج والجذب والدفع والرجلان للسعى والمعدة لهضم الطعام والكبد للتخليص والتمييز والفم للكلام ودخول الغذاء والمنافذ لدفع الفضلات واذا تأملت كذلك مع سائر ما فى الانسان وجدته قد وضع على غاية الحكمة والصواب . فكر في وصول الغذاء الى المعدة حتي ينضجه ويبعث صفوه الى الكبد في عروق دقاق قد جعلت كالمصفاة للغذاء ولكيلا يصل الى الكبد منه شئ غليظ خشن فينكؤها فانها خلقت دقيقة لاتحمل الغث فتقلبه باذن الله دما وتنفذه الى سائر البدن في مجار مهيأة لذلك فيصل الى كل شئ من ذلك ماينا سبه من يابس ورخو وغير ذلك فتبارك الله رب العالمين ثم ينفذ مايكون من خبث وفضول الى معابض وأعضاء أعدت لذلك كما ذكرنا قبل هذا فكونها كالاوعية تحمل هذه الفضلات لكيلا تنتشر في البدن فتسقمه ثم انظر هل تجد في خلق البدن شيئا لامعنى له هل خلق البصر الا ليدرك الاشياء والالوان فلو كانت الالوان ولم يكن بصر يدركها هل كان في الالوان منفعة ولو لم يكن لخلق الابصار نور خارج عن نورها ما كان ينتفع بالبصر وهل خلق السمع الا ليدرك الاصوات فلو كانت الاصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فى الاصوات منفعة وكذلك سائر الحواس . فكر في أشياء جعلت بين الحواس والمحسوسات لاتتم الحس الا بها منها الضياء والهواء فلو لم يكن ضياء تظهر فيه المبصرات لم يدركها البصر ولو لم يكن هواء يؤدى الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت . فكر فيمن عدم البصر والسمع ومايناله من الخلل فانه لاينظر أين يضع

قدمه ولا يدري مابين يديه ولا يفرق بين الالوان ولا يدرى بهجوم آفة أو عدو ولا سبيل له أن يتعلم أكثر الصناعات وأما من عدم السمع فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات المستحسنة والالحان المطربة وتعظم المؤونة على من يخاطبه حتى ينصرم منه ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس واحاديثهم حتى يصير كالغائب وهو شاهد وكالميت وهو حي وأما من عدم العقل فهو شر من البهائم فانظر كيف صارت هذه الجوارح وهذه الاوصاف التي بها صلاح الانسان محصلة ومبلغة لجميع ما آربه ومتممة لجميع مقاصده واذا فقد شيئاً اختل أمره وعظم مصابه ومن بلى بفقد شئ منها فهو تأديب وموعظة وتعريف بقدر نعمة الله في حقه وحق أمثاله ولينال بصبره على ذلك حظاً فى الآخرة فانظر الي رحمة الله كيف توجد في العطاء والمنع . ثم فكر في الاعضاء التى خلقت أفراداً وأزواجا وما فى ذلك من الحكمة والصواب فالرأس مما خلق فردا وان كثيراً من الحواس قد حوتها رأس واحدة ولو زاد عليه شئ كان ثقلا لايحتاج اليه فان كان قسمين فان تكلم احدهما بقي الآخر معطلا لاحاجة اليه وان تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلة لايحتاج اليها وان تكلم من أحدهما بخلاف مايتكلم به من الآخر لم يدر السامع مراده من ذلك وانما الذى يأخذ به السامع هو ما كان واضحاً واليدان خلقتا أزواجا ولم يكن للانسان خير في أن يكون بيد واحدة لاختلال مايعالجه من الامور فانك ترى من شلت احدى يديه مايكون عنده من النقص وان يكلف بشئ لم يحكمه ولا يبلغ مايبلغ صاحب اليدين وحكمة الرجلين ظاهرة . فكر فى تهيئة آلات الصوت فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والاسنان لاصاغة الحروف والفم ألا ترى ان من سقطت اسنانه أو أكثرها كيف يحصل الخلل فى كلامه . ثم انظر الى مافى الحنجرة من المنفعة

لسلوك النسيم منها الى الرئة فتروح على الفؤاد بهذا النفس المتتابع ومافى اللسان من تقليب الطعام واعانته على تسويغ الطعام والشراب ومافى الاسنان من المعونة أيضاً ثم هى كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمها من داخل الفم وبالشفتين يرتشف الشراب حتي يكون ما يدخله الى الجوف بقصد وبقدر ما يختاره الانسان ثم هما على الفم كالباب فقد تبين ان كل عضو من هذه الاعضاء ينصرف الى وجوه من المآرب وضروب من المصالح إن زاد أفسد وإن نقص افسد فذلك تقدير العزيز العليم. فكر فى الدماغ اذا كشف عنه فانك تجده قد لف بدضه فوق بعض ليصونه من الاعراض وأطبقت عليه الجمجمة والشعر ستر لها وجمال وليبعد عنها ما يؤذيها من حر وبرد وغير ذلك فخصن سبحانه وتعالى الدماغ هذا التحصين لما له بأنه مهم وأنه مستحق لذلك لكونه ينبوع الحس. ثم انظر كيف غيب الفؤاد فى جوف الصدر وكساه المدرعة التى هى غشاؤه واتقنها وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب لشرفه وان ذلك اللائق به. ثم انظر كيف جعل فى الحلق منفذين أحدهما للصوت وهو الحلقوم الواصل الى الرئة والآخر للغذاء وهو المرئ الواصل الى المعدة وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل اليه ثم جعل الرئة مروحة للفؤاد لا تفتر ولا تخل تأخذ وترد بغير كلفة لئلا تحصر الحرارة فى القلب فتؤدي الى التلف ثم ملأ الجوّ هواء لهذه المصلحة ولغيرها. ثم انظر كيف جعل لمنافذ البول والغائط أسراحا يضبطها لكى لا يجرى جريانا دائماً فيفسد على الانسان عيشته. ثم انظر كيف جعل لحم الفخذين كثيراً كثيفا ليقى الانسان من ألم الجلوس على الارض كما يألم من الجلوس من نحل جسمه وقلّ لحمه اذ لم يكن بينه وبين الارض حائل. انظر لو كان ذكر الرجل مسترخياً أبداً كيف يصل الماء الي موضع الخلق ولو كان منعظاً أبداً كيف يكون حاله في

تصرفاته وهو كذلك بل جعله مستوراً كأنه لم تخلق له شهوة. ثم انظر أليس أنه من حسن التدبير في البناء أن يكون الخلاء في أستر موضع فى الدار فهذا اتخذ المنفذ المهيأ لقضاء حاجة الانسان فى أستر موضع من جسده مغيب فيه تلقى عليه غذاه بما عليهما من اللحم فتواريه به ويخفي ذكره وذلك مخصوص بالانسان لشرفه. ثم انظر في خلق الشعر والاظفار لما كانا يطولان وفى تقصيرهما مصلحة جعلا عديمي الحس حتي لا ينال الانسان ألم عند التزين بقصهما ولولا هذه الحكمة لكان بين أمرين اما أن يدعهما على حالهما فيتشوه خلقه أو يزيل ذلك فيتألم بازالته. ثم تفكر فى الشعور لو نبتت في العين لأعمت البصر أو في الفم لنغصت الاكل والشرب أو فى راحة الكف لفقدت لذة اللمس وبعض الاعمال أو في الفرج لكدرت لذة الجماع مع قبول هذه المواضع لنباتها فيها فسبحان المدبر المنعم بهذه النعم. فانظر كيف قصد بهذا الخلق طريق الصواب وتجنب الخطأ والضرر ثم فيما جبل عليه الانسان من الاحتياج الى المطعم والنوم والجماع وما في ذلك من التدبير المحكم فقد جعل في طبعه محرك يقتضيه ويستحثه فالجوع والعطش يقتضي طلب الطعام الذى به حياته وكذلك الشراب الذى به قوامه والنوم فيه راحة البدن وعموم القوى والشبق يقتضى الجماع الذى به دوام النسل وبقاؤه فلو كان الانسان انما يتناول الطعام والشراب لمعرفته بالحاجة اليه ولم يجد من طباعه ما يلجئه اليه لاشتغل بأسباب ضرورته فتنحل قواه ويهلك كما أنه قد يحتاج الى دواء يكرهه وفيه صلاحه وليس في جبلته داعية له فيدافع فى تناوله فيمرض أو يموت فكذلك لو كان يفعل النوم ويدخله على جسمه باختياره لتشاغل عنه ببعض مهماته فيهلك جسمه بالتعب والنصب وكذلك لو كان إقدامه على الجماع انما هو لرغبة حصول الولد لانقطع النسل لما يعارضه من الاسباب المشغلة فانظر كيف جعل فيه

بالطبع مايضطره الى حصول هذه الفوائد. انظر كيف رتبت هذه القوى بهذا الترتيب المحكم العجيب فصار البدن بما فيه بمنزلة دار لملك فيها حشم وقوم موكلون بالدار فواحد لامضاء حوائج الحشم وايراد ماء لهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه الى أن يعالج وبهيأ وآخر لاصلاح ذلك وتهيئته واصلاحه أخص مما قبل وآخر لكنس ما فى الدار من الاقذار واخراجه فالملك فى هذا المثل هو الخالق العليم سبحانه والدار هى البدن والحشم هى الاعضاء والقوم في هذه القوى الاربع التى هي النفس وموكلها من الانسان بمعنى الفكر والوهم والعقل والحفظ والغضب وغير ذلك أرأيت لو نقص من الانسان من هذه الصفات الحفظ وحده كيف كان يكون حاله كان لا يحفظ ماله وما عليه وما أصدر وما أورد وما أعطى وما أخذ وما رأى وماسمع وماقال وما قيل له ولم يذكر من أحسن اليه ولا من أساء له ولا من نفعه ممن ضره وكان لا يهتدى لطريق ولو سلكه ولا لعلم ولو درسه ولا ينتفع بتحريره ولا يستطيع أن يعتبر بمن مضى فانظر الى هذه النعم كيف موقع الواحدة منها فكيف جميعها. وأعجب من نعمة الحفظ نعمة النسيان فلولا النسيان ماسلا الانسان عن مصيبة فكان لاينقص له حسرة ولا يذهب عنه حقد ولا يستمتع بشيء من لذات الشهوات الدنيوية مع تذكر الآفات والفجائع المغضبات وكان لا يمكن ان يتوقع غفلة من ظالم ولا فترة ولا ذهولا من حاسد أو قاصد مضرة فانظر كيف جعل الله فيه سبحانه الحفظ والنسيان وهما متضادان وجعل للانسان فى كل منهما ضروبا من المصالح. ثم انظر الى ماخصه به دون غيره من الحيوان من الحياء فلولاه لم تقل العثرات ولم تقض الحاجات ولم يقر الضيف ولم يرغب في الجميل فيفعل ولا يتجافى عن القبيح فيترك حتى ان كثيراً من الامور الواجبة انما تفعل لسبب الحياء من الناس فترد الامانات وتراعى حقوق الوالدين وغيرهما

ويعف عن فعل الفواحش الى غير ذلك من أجل الحياء فانظر ما أعظم موقع هذه النعمة فى هذه الصفة . وانظر ما أنعم الله به من النطق الذي يميز به عنه البهائم فيعبر بما في ضميره ويفهم عن غيره ما فى نفسه . وكذلك نعمة الكتابة التى تفيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين وبها تخلد في الكتب العلوم والآداب ويعلم الناس ذكر ما يجرى بينهم فى الحساب والمعاملات ولولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الازمنة عن بعض ودرست العلوم وضاعت الفضائل والآداب وعظم الخلل الداخل على الناس فى أمورهم بسبب عدمها فان قلت ان الكلام والكتابة مكتسبة للانسان وليست بأمر طبيعى ولذلك تختلف الخطوط بين عربى وهندى وروى الى غير ذلك وكذلك الكلام هو شئ يصطلح عليه فلذلك اختلف . قلنا ما به تحصل الكتابة من اليد والاصابع والكف المهيأ للكتابة والذهن والفكر الذى يهتدى به ليس بفعل الانسان ولولا ذلك لم يكن ليكتب أبداً فسبحان المنعم عليه بذلك وكذلك لولا اللسان والنطق الطبيعى فيه والذهن المركب فيه لم يكن ليتكلم أبداً فسبحان المنعم عليه بذلك . ثم انظر الى حكمة الغضب المخلوق فيه يدفع عن نفسه به مايؤذيها وما خلق فيه من الحسد فبه يسعى فى جلب ماينتفع به غير أنه مأمور بالاعتدال في هذين الامرين فان جاوز الحد فيهما التحق برتبة الشياطين بل يجب أن يقتصر فى حالة الغضب على دفع الضرر وفي الحسد على الغبطة وهي ارادة ماينفعه من غير مضرة تلحق غيره . ثم انظر ما أعطي وما منع مما فيه أيضاً صلاحه فمن ذلك الامل فبسببه تعمر الدنيا ويدوم النسل ليرث الضعفاء عن الاقوياء منافع العمارة فان الخلق أول ما يخلق ضعيف فلولا أنه يجد آثار قوم أصلوا وعمروا لم يكن له محل يأوى اليه ولا آلة ينتفع بها فكان الامل سببا لعمل الحاضرين مايقع به انتفاع الآتين وهكذا يتوارث الى يوم

الدين ومنع الانسان من علم أجله ومبلغ عمره لمصلحة فانه لو علم مدة حياته وكانت قصيرة لم تهنه الحياة ولم ينشرح لوجود نسل ولا لعمارة أرض ولا لغير ذلك ولو علمها وكانت طويلة لانهمك في الشهوات وتعدي الحدود واقتحم المهلكات ولعجز الوعاظ عن ايقافه وزجره عما يؤديه الي اتلافه فكان فى جهله بمدة عمره مصلحة حصول الخوف بتوقع هجوم الموت ومبادرة صالح الاعمال قبل الفوت . ثم انظر الى ما ينتفع به مما فيه مصالحه وملاذه من أصناف الاطعمة على اختلاف طعومها وأصناف الفواكه مع اختلاف ألوانها وبهجتها وأصناف المراكب ليركبها ويحصل منافعها وطيور يلتذ بسماعها ونقود وجواهر يقتنيها ويصل بها الى أغراضه ويجدها فى مهماته وعقاقير يستعملها لحفظ صحته وبهائم لمأكله ولغير ذلك من أموره من حرث وحمل وغير ذلك وأزهار وغيرها من العطريات يتنعم بروائحها وينتفع بها وأصناف من الملابس على اختلاف أجناسها وكل ذلك ثمرة ما خلق فيه من العقل والفهم فانظر ماذا ركب الله فيه من العجائب . ومن الحكمة البالغة اختلاف العباد فى تملك ما ينتفع به بنو آدم ليتميز منهم الفقير عن الغني فيكون ذلك سببا لعمارة هذه الدار ويشتغل الناس بسبب ذلك عما يضرهم فى غالب الاحوال فمثالهم فيما اشتغلوا به مثال الصبي فانه يشتغل لنقص عقله فيما يضر به نفسه ولا يتفرغ فيكون فراغه وبالا عليه وكم عسي أن يعد العاد من الحكم واللطائف التى يقصد بها قوام العالم وبقاؤه الى الاجل المعلوم وهى مما لا تدخل تحت حد ولا يحصرها عدّ ولا يعلم منتهي حقائقها واحصاء جملتها الا الحكيم العليم الذى وسعت رحمته وعلمه كل شئ وأحصى كل شئ عدداً

﴿ خاتمه لهذا الباب ﴾

اعلم أن البارى سبحانه وتعالى شرف هذا الآدمي وكرمه فقال سبحانه

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فكان من أعظم ما شرفه به وكرمه العقل الذي تنبه به على البهيمة وألحقه بسببه بعالم الملائكة حتي تأهل به لمعرفة باريه ومبدعه بالنظر في مخلوقاته والاستدلال به على معرفة صفاته بما أودعه في نفسه من حكمة وأمانة قال الله العليم (وفى أنفسكم أفلا تبصرون) فكان نظره فى نفسه وفيما أودع البارى سبحانه فيه من العقل الذى يقطع بوجوده فيه ويعجز عن وصفه من أعظم الدلالات عنده على وجود باريه ومدبره وخالقه ومصوره فانه ينظر فى العقل وكيف فيه التدبير وفنون العلم ومستقر المعرفة وبصائر الحكمة والتمييز بين النفع والضر وهو مع القطع بوجوده لا يرى له شخصاً ولا يسمع له حساً ولا يجس له مجساً ولا يشم له ريحا ولا يدرك له صورة ولا طعما وهو مع ذلك آمر ومطاع وراج ومفكر ومشاهد للغيوب ومتوهم للامور اتسع له ما ضاق عن الابصار ووسع له ماضاقت عنه الاوعية يؤمن بما غيبته حجب الله سبحانه مما بين سمواته وما فوقها وأرضه وما تحتها حتى كأنه شاهده أبين من رأي العين فهو موضع الحكمة ومعدن العلم كلما ازداد علما ازداد سمة وقوة يأمر الجوارح بالتحرك فلا يكادان يميز بين الهمة بالحركة وبين التحرك بسرعة الطاعة أيهما أسبق وان كانت الهمة قبل وهو مع تدبيره وعلمه وحكمته عاجز عن معرفة نفسه اذ لا يمكنه أن يصف نفسه بنفسه بصفة وهيئة أكثر من الاقرار بأنه مسلم الذى وصفه للعلم به ومقر بالجهل بنفسه وهو مع جهله بنفسه عالم حكيم يميز بين لطائف التدبير ويفرق بين دقائق الصنع وتجرى الامور وقد تدبرها ويتوهم العواقب ويمثلها ويدل على الامور على اختلافها فدل جهله بنفسه وعلمه بما يدبر ويميز أنه مركب مصنوع مصور مدبر مقهور لانه مع حكمته واتقاد بصيرته عاجز مهين يريد أن يذكر الشئ فينساه ويريد أن ينساه

فيذكره ويريد أن يسر فيحزن ويريد أن يغفل فيذكر ويريد أن يتنبه ويتيقظ فيسهو ويغفل دلالة على أنه مغلوب مقهور وهو مع ما علم جاهل بحقائق ما علم ومع ما دبر لا يدري كم مدا مبلغ صوته ولا كيف خروجه ولا كيف اتساق حروف كلامه ولا كم مدا مبلغ نظره ولا كيف ركب نوره ولا كيف أدرك الاشخاص ولا كم قدر قوته ولا كيف تركبت ارادته وهمته فاستدل بعلمه وجحده عن حقيقة ما علم أنه مصنوع بصنعة متقنة وحكمة بالغة تدل على الصانع الخالق المريد العليم عز وجل .. ثم انه خلق في الانسان الهوى موافقا لطباعه فان استعمل نور العقل فيما أمر به ورد مورد السلامة وفاز غدا بدار الكرامة وان استعمله في اغراض نفسه وهواها حجب عن معرفة أمور لا يدركها غيره مع ما هو متوقع له في الدار الآخرة من الثواب والحجاب والعقاب وهو الآلة له في عمل الصنائع وتقديرها على نحو ما قدرها ودبرها في ذهنه وتخيله واستنباط ما يستنبط بدقيق الفكر ومعرفة مكارم الاخلاق الموجودة في كل أمة وزمان واستحسان ما يحسن في عوائد العقلاء والفضلاء وتقبيح ما يقبح عندهم بحكم الاعتياد . فانظر ماشرف هذا الانسان أن خلق فيه ما يفيده هذه المعارف فان الاوانى تشرف بشرف ما يوضع فيها ولما كانت قلوب العباد هي محل للمعرفة بالله سبحانه شرفت بذلك ولما سبق في علم البارى سبحانه وارادته وحكمه بمصير الخلق الى دار غير هذه الدار ولم يجعل في قوة عقولهم ما يطلعون به على أحكام تلك الدار بل كمل لهم سبحانه هذا النور الذى وهبهم اياه بنور الرسالة اليهم فارسل الانبياء صلوات الله عليهم مبشرين لاهل طاعته ومنذرين لاهل معصيته فمدهم بالوحي وهيأهم لقبوله وتلقيه فكانت أنوار ماجاء به الوحي من عند الله بالنسبة الى نور العقل كالشمس بالاضافة الى نور النجم فدلوا العباد على مصالح دنياهم فيما لا تستقل بادراكه عقولهم وأرشدوهم الى مصالح أخراهم

التى لا سبيل للعباد ان يعرفوها الا بواسطتهم وأظهر لهم سبحانه من الدلائل على صدق ماجاؤا به ماأوجب الاذعان والانقياد لصدق أخبارهم فتمت بذلك نعمة الله على عباده وظهرت كرامته وثبتت حجته عليهم.. فانظر ما أشرف الآدمى ونسله الذين ظهرت منه هؤلاء الفضلاء الذين هم قابلون هذه الزيادات الفاضلة ثم تضافرت أنوار الشرائع التي هي كالشمس وأنوار العقول التى هى كالنجم فتمت سعادة من سبق له من الله الحسنى وشقاوة من كذب ولم يرد الا الحياة الدنيا.. ثم ان الله تبارك وتعالي من على الانسان بأن خصه برؤيا يراها فى منامه أو فى عينه كشبه المنام يمثل له فيها بأمثلة معهودة من جنس مايعرفه وهي مبشرة أو منذرة له لما يتوقعه بين يديه كل ذلك مواهب وكرامات من جود الله سبحانه وجعل الله استقامته على الطاعة في قلبه وجوارحه سببا لصدقها في غالب الامر ليتعظ أو يقدم على الامور أو يحجم عنها وهى الامور التى انفرد الله بعلم العاقبة فيها واطلع على بعض الامور منها من شاء

﴿ باب في حكمة خلق الطير ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (ألم تروا الى الطير مسخرات في جو السماء مايمسكهن الا الله) اعلم رحمك الله ان الله تعالى خلق الطير وأحكمه حكمة تقتضى الخفة للطيران ولم يخلق فيه مايثقله وخلق فيه مايحتاج اليه ومافيه قوامه وصرف غذاءه فقسم لكل عضو منه مايناسبه فان كان رخوا أو يابساً أو بين ذلك انصرف الي كل عضو من غذائه ماهو لائق به فخلق للطير الرجلين دون اليدين لضرورة مشيه وتنقله واعانته له فى ارتفاعه عن الارض وقت طيرانه وجعلها واسعة الاسفل ليثبت فى موطن على الارض وهي خف فيه أو بعض أصابع مخلوقة من جلد رقيق صلب من نسبة جلد ساقيه وجعل جلد ساقيه غليظا

متقنا جداً يستغنى به عن الريش في الحر والبرد وكان من الحكمة خلقه على هذه الصفة لانه فى رعيه وطلب قوته لا يستغنى عن مواضع فيها الطين والماء فلو كسيت ساقاه بريش لتضرر ببلله وتلويثه فاغناه سبحانه عن الريش في موضع لا يليق به حتى يكون مخلصا للطيران وما خلق من الطير ذا ارجل طوال جعلت رقبته طويلة لينال غذاءه من غير حرج بها اذلو طالت رجلاه وقصر عنقه لم يمكنه الرعى لا في البراري ولا فى البحار حتي ينكب على صدره وكثيرا مايعان بطول المنقار أيضا مع طول العنق ليزداد مطلبه عليه سهولة ولو طال عنقه وقصرت رجلاه أثقله عنقه واختل رعيه وخلق صدره وجعل دائره ملفوفاً مرتبا على عظم كهيئة نصف دائرة حتي يخرق في الهواء بغير كلفة وكذلك رؤس أجنحته مدورة اعانة له على الطيران وجعل لكل جنس من الطير منقاراً يناسب رعيه ويصلح لما يغتذى به من تقطيع ولقط وحفر وغير ذلك فمنه مخلب للتقطيع خص به الكواسر وماقوته اللحم ومنها عريض مشرشر جوانبه تنطبق على ما يلتقطه انطباقا محكماً ومنه معتدل اللقط لأكل الخضر ومنه طويل المنقار للحفر وجعله صلبا شديداً شبه العظم وفيه ليونة ماهي في العظم لكثرة الحاجة الى استعماله وهو مقام الاسنان في غير الطير من الحيوان وقوى سبحانه أصل الريش وجعله قصبا منشوبا فيما يناسبه من الجلد الصلب في الاجنحة لاجل كثرة الطيران ولان حركة الطيران قوية فهو محتاج الى الاتقان لاجل الريش وجعل ريشه وقاية مما يضره من حر أو برد ومعونة لتخلله الهواء للطيران وخص الاجنحة بأقوى الريش وأثبته وأتقنه لكثرة دعاء الحاجة اليه وجعل في سائر بدنه ريشاً غيره كسوة ووقاية وجمالا له وثبت أصل جميعه لانه جبيرته وجماله وجعل في ريشه من الحكمة أن البلل لا يفسده والادران لا توسخه فان أصابه ماء كان أيسر انتفاض يطرد عنه بلله فيعود

الى خفته وجعل له منفذاً واحداً للولادة وخروج فضلاته لاجل خفته وخلق ريش ذنبه معونة له على استقامته في طيرانه فلولاه لما مالت به الاجنحة في حال الطيران يميناً وشمالاً فكان له بمنزلة رجل السفينة الذي يعدل بها سيرها وخلق في طباعه الحذر وقاية لسلاحه. ولما كان طعامه يبتلعه بلعاً بلا مضغ جعل لبعضه منقاراً صلباً يقطع به اللحم ويقوم له مقام ما يقطع بالمدية وصار يزدرد ما يأكله صحيحاً وأعين بفضل حرارة في جوفه تطحن الطعام وطحنا يستغنى به عن المضغ وثقل الاسنان واعتبر ذلك بحب العنب وغيره فانه يخرج من بطون الحيوان صحيحاً وينسحق في أجواف الطير ثم انه خلقه ببيض ولا يلد لئلا يثقل عن الطيران فانه لو خلقت فراخه في جوفه حتى يكمل خلقها لثقل بها وتعوق بها عن النهوض للطيران. أفلا ترى كيف دبر كل شيء من خلقه بما يليق به من الحكمة انظر الى مين أنزله وألهمه الرقاد على بيضه فيحضنه مدة الحضانة من ألهمه أن يلتقط الحب فاذا ماع في باطنه غذي به أفراخه وهذا نوع من الطير ثم انظر هذا كيف احتمل هذه المشقة وليست له روية ولا فكر في عاقبة ولا له أمل يأمله في أفراخه كما يأمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهل هذا قطعاً الا الهام الهي من فعل الله سبحانه. انظر كيف ألهم معرفة حمل الانثى منه بالبيض فألهموا حينئذ حمل الحشيش وتوطئته في موضع التحضين والولادة لتكون الرطوبة والتوطئة تحفظ البيض ويكون البيض محفوظاً في المهاد الذي يمهدونه ويستحسنونه في حال تحضينه. انظر الى الحمام كيف ألهم معرفة كمال الفرخ وانتهاء تحضينه للبيض حتى يكشف عن الفرخ ويخرجه وان اتفق في البيض فساد بسبب عرق قام وتركه ثم انظر الهامه بما يزق به فرخه فانه أولاً يزقه بالريح لتستعد حوصلته لقبول ما يوضع فيها ثم بعد ذلك يزقه من أول هضم ثم اذا ماع الغذاء في حوصلته يزقه به

حتى يدرجه ويفعل ذلك مرارا حتى يملأ حوصلته فانه لو أوصله اليه جبا صحيحا لعجز عن هضمه لضعف جسده فانظر ان كان هذا من فعل الطير وحكمته. ثم انظر عند خروج الفرخ من البيضة كيف يسنده الى جنبه لئلا يفقد الحرارة دفعة واحدة فيضر ذلك به ومن الطير ما يخلق على هيئة أخرى لحكمة أخرى ولتعلم أن قدرة الله لا تنحصر في نوع واحد بل كل حال له حكم يقوم بمصلحة ذلك الشئ وذلك أن الدجاج ما فيهم أهلية الزق بل جعلت فراخهم يلتقطون غذاءهم عند خروجهم من البيضة. ثم انظر في الحمام الذكر والانثى كيف يتداولان على التسخين خوف أن يفسد بيضهم فيعقب هذا صاحبه كأن لهم علما بان عدم هذا التدبير يفسد به بيضهم. ثم انظر الى خلق البيضة وما فيها من الحكم لله ففيها الملح الاصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق فبعضه لينشأ منه جسده وبعضه يغتذى به الى أن تنشق عنه وما فى ذلك التدبير من الحكم العجيبة وكيف جعل معه غذاءه في بيضة مغلقة تلتقي به الى حين كماله فيها وخروجه منها ثم انظر فى حوصلة الطائر وما فى خلقها من التدبير فان مسلك طعامه الى القانصة ضيق لا ينفذ اليه الا قليلا قليلا فلو كان لا يلتقط حبة حتى تصل الاولى الى القانصة لطال الامر عليه مع ما فيه من شدة الحذر وتجنبه ما يؤذيه فصار ما يحتكره احتراسا لشدة حذره فجعلت له الحوصلة كالمخلاة المعلقة امامه ليودع فيها ما أدرك من الطعام بسرعة ثم ينفذه الى القانصة على مهل وفيها حكمة أخرى فان الطير الذى يزق أفراخه يكون رده الطعام من قرب أسهل عليه ثم تأمل ريش الطائر فانك تجده منسوجا نسج الثوب من سلوك رقاق وفيها من اليبس ما يمسك ما حولها ومن اللين ما لا تنكسر معه وهى خاوية قد الف بعضها الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعر الى الشعر ثم تجده اذا فتحته أعني النسيج ينفتح قليلا ولا ينشق ليدخله الريح فيثقله عن طيرانه وتجد في

وسط الريشة عموداً غليظاً يابساً مثبتا قد نسج عليه كهيئة الشعر ليمسكه بصلابته فلو عدم ذلك وعرضت الريشة دونه لفسخها مايقابلها من الهواء وهي مع صلابتها مجوفة ليخف عليه طيرانه. أنظر الى الطائر الطويل الساقين والحكمة فى طولهما أنه يرعى أكثر رعيه فى صحصاح كأنه فوقه مرتب يتأمل مايدب فى الماء فاذا رأى شيئاً من حاجته خطا خطوا رفيقا حتى يتناوله فلو كان قصير الساقين لكان حين يخطو الى الصيد يصل بطنه الى الماء فيهزه فيذعر منه الصيد فيبعد عنه. أنظر الى العصافير وغيرها فانها تطلب رزقها طول نهارها فلاهى تفقده ولاهى تجده مجموعا فى محله وهو أمر جار على سنة الله في خلقه فان صلاحهم في السعى في طلب الرزق فان الطير لووجده ميسرا اكب عليه ولايقلع عنه حتى يمتلئ فينقل عن الطيران ولايستطيع رده أعنى قذفه من بطنه مثل طير الماء الكبير فانه يأكل السمك فاذا امتلا منه وأزعجه مزعج تفيأه حتى يخف للطيران وكذلك الناس أيضاً لووجدوه بلا سعى لتفرغوا افراغا يوقعهم فى غاية الفساد. أنظر الى هذه الاصناف من الطير التى لاتخرج الا ليلا مثل البوم والهام والخفاش فأن عيشها يتيسر في الجو كالبعوض والفراش وشبهه فانها منبثة فى هذا الجو فجعل عيشه فى موضع أقرب اليه من الارض ولعل نوره لايعينه أن يلتقط من الارض بدليل أنه لايظهر في نور الشمس الا مختفياً فالهم ان يعيش في الجو من الفراش وغيره أنظر الى الخفاش لماخلق بغير ريش كيف خلق له مايقوم مقامه وجعل له فم وأسنان وكل مافى البهائم الارضية من الولادة وغيرها وأقدره على الطيران فاظهر سبحانه فيه ان قدرته على الطيران لاتقتصر على ماخلق له الريش ولاتنحصر فى نوع واحد لانه خلق هذا النوع وخلق من السمك جنسا يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل الماء فسبحان القادر العليم أنظر الى الذكر والانثى

من الحمام كيف يتعاونان على الحضانة فاذا احتاج أحدهما الى قوته ناب الآخر الى آخر وقت الحضانة ثم ألهمهما الحرص على الحضانة فلا يطيلان الغيبة على البيض اذا خرجا لنيل القوت حتى أنهما يجتمع في أجوافهما البراز للحرص علي الرقاد فاذا اضطره خروج البراز أخرجه دفعة واحدة ثم أنظر الى حرص الذكر حين تحمل الانثي بالبيض ويقرب أوان وضعها كيف يطردها وينقرها ولا يدعها تستقر خارجا عن الوكر خشية ان تضع البيض فى غير الموضع المهيأ لوضعه. أنظر كيف يزق أفراخه ويعطف عليها مادامت محتاجة الى الزق حتى اذا كبرت واشتدت ولقطت واستغنت عن أبويها صارت اذا تعرضت له لنيل ما اعتادت ضربها وصرفها عن نفسه واشتغل بغيرها. ثم انظر ماخلق الله تعالى فى الكواسر من شدة الطيران حتى لايسبق له من يطلبه ومن قوة المخلب وحدته في المنقار والاظفار فكأن مخلبها مدية للقطع وكأن مخلب أرجلها خطاطيف يعلق فيها اللحم حتي تصل الى ماتحتاجه من قوتها. أنظر الى طير الماء لما جعل قوته في الماء كيف جعل فيه قوة السباحة والغطس ليأخذ من جوف الماء رزقه فجعل سبحانه وتعالى لكل صنف من الطيور ما يليق به في تحصيل قوته

﴿ باب في حكمة خلق البهائم ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) اعلم وفقك الله وايانا أن الله خلق البهائم لمنافع العباد امتنانا عليهم كما نبهت على ذلك هذه الآية فخلقها الله بلحم مثبت على عظام صلبة تمسكه وعصب شديد وعروق شداد وضم بعضها الى بعض ولم يجعلها لينة رخوة ولا صلبة كصلابة الحجارة وجعل فوق ذلك جلداً اشتمل على أبدانها كلها لتضبطها وتدفئها لانها أريد منها القوة للعمل والحمل ثم خلقها سبحانه سميعة بصيرة ليبلغ الانسان حاجته منها

لانها لو كانت عمياء صماء لم ينتفع بها الانسان ولا وصل بها الى شئ من مآربه ثم منعت العقل والذهن حكمة من الله لتذل للانسان فلا تمتنع عليه اذا كدها عند حاجته الى اكدادها في الطحن وحمل الاثقال عليها الى غير ذلك وقد علم الله أن بالناس حاجة الى أعمالها وهم لا يطيقون إعمالها ولا يقدرون عليها ولو كلف العباد القيام بأعمالها لاجهدهم ذلك واستفرغ قواهم فلا يبقى فيهم فضلة لعمل شئ من الصناعات والمهن التى يختصون بعملها وخلقتهم قابلة لها ولا غنى لهم عنها وتحصيل الفضائل من العلوم والآداب ولو كان ذلك مع اتعابه لابدانهم يضيق عليهم معايشهم فكان قضاؤه على هذا تسخيرها لهم من النعم العظيمة أنظر فى خلق أصناف من الحيوان وتهيئتها لما فيه صلاح كل صنف منها فبنو آدم لما قدروا أن يكونوا ذوى علاج للصناعات واكتساب للعلوم وسائر الفضائل ولا غنى لهم عن البناء والحياكة والنجارة وغير ذلك خلقت لهم العقول والاذهان والفكر وخلقت لهم الاكف ذوات الاصابع ليتمكنوا من القبض على الاشياء ومحاولات الصناعات * وآكلات اللحم لما قدر أن يكون عيشها من الصيد ولا تصلح لغيره خلقت لها مخالب وسرعة نهضة وانياب * وآكلات النبات لما قدر أن تكون غير ذات صنعة ولا صيد خلقت لبعضها اظلاف كفتها خشونة الارض اذا جالت في طلب المرعى ولبعضها حوافر مستديرة ذات قعر كأخمص القدمين لتنطبق على الارض وتهيأ للحمل والركوب .

تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان كيف خلقت ذوات أسنان حداد وأتراس شداد وأفواه واسعة وأعينت بسلاح وأدوات تنال بذلك ما تطلبه فان ذلك كله صالح للصيد فلو كانت البهائم التى عيشها النبات ذوات مخالب وأنياب كانت قد أعطيت مالا تحتاج اليه لانها لا تصطاد ولا تأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج اليه من السلاح

الذي به تصطاد، فانظر كيف أعطي سبحانه كل واحد من أصناف الحيوان ما يشاكله وما فيه صلاحه وحياته أنظر الى أولاد ذوات الاربع كيف يجدها تتبع الامهات مستقلة بنفسها لاتحتاج الى تربية وحمل كما يحتاج الآدميون اذ لم يجعل في أمهاتها ما جعل فى أمهات البشر من العقل والعلم والرفق في أحوال التربية والقوة عليها بالفكر والاكف والاصابع المهيأة لذلك ولغيره فلذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها ولذلك ترى فراخ بعض الطير مثل الدجاج والدراج تدرج وتلقط عقيب خروجها من البيضة وما كان منها ضعيفا لا نهوض له مثل فراخ الحمام واليمام جعل في الامهات عطف عليها فصارت توعى الطعام فى حواصلها ثم تمجه في أفواه فراخها ولا تزال كذلك حتى تنهض وتستقل فكل أعطى من اللطف والحكمة بقسط. فسبحان المدبر الحكيم. انظر الى قوائم الحيوان كيف ينتقل أزواجا لتهيأ للمشي فلو كانت افرادا لم تصلح لذلك لان المائى منها ينقل منها بعضه ويعينه على مشيه اعتماده على ما لم ينقله منها فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على الاخرى وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لانه لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه يعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الارض كالسرير ولو كان يرفع يديه ويتبعها برجليه لفسد مشيه فجعل ينقل اليمنى من مقدمه على اليسرى من مؤخره ويعتمد على الاخريين من خلاف أيضا فيثبت على الارض ولا يسقط اذا مشي لسرعة التحاقهما فيما بين المشى والاعتماد أما ترى الحمار يذل للحمولة والطحن والفرس مبرأ منها والبعير لا تطيقه عدة رجال لو استعصي وينقاد لصبي صغير والثور الشديد يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ليستحرثه والفرس تركب ويحمل عليها السيوف والاسنة في الحرب وقاية لراكبها والقطيع من الغنم يرعاها صبي واحد فلو تفرقت فأخذت كل شاة

منهاجهة لنفورها لتعذرت رعايتها وربما أعجزت طالبها وكذلك جميع الحيوان المسخر للانسان وما ذلك الالانها عدمت العقل والتروى فكان ذلك سببا لتذليلها فلم تلتو على أحد من الناس وان كدها فى كثير من الاحوال وكذلك السباع لوكانت ذوات عقل وروية لتواردت علي الناس وأنكتهم نكاية شديدة عظيمة ولعسر زجرها ودفعها ولاسيما اذا اشتدت حاجتها في طلب قوتها ويشتد خللها ألا ترى كيف اذا أحجمت عن الخلق وصارت فى أماكنها خائفة تهاب مساكن الناس وتحجم عنها حتي صارت لاتظهر ولا تنبعث في طلب قوتها في غالب أحوالها الاليلا فجعلها مع شدة قوتها وعظم غذائها كالخائفة من الانس بل هى ممنوعة منهم ولولا ذلك لاوردتهم في منازلهم وضيقت عليهم في مساكنهم. ألا ترى الكلب وهو من بعض السباع كيف سخر في حراسة منزل صاحبه حتي صار يبذل نفسه ويترك نومه حتى لايصل الى صاحبه مايؤذيه ثم انه أعان صاحبه بقوة صوته حتي ينتبه من نومه فيدفع عن نفسه ويألفه حتى يصبر معه على الجوع والعطش والهوان والجفاء فطبع علي هذه الخلال لمنفعة الانسان في الحراسة والاصطياد ولما جعله البارى سبحانه حارساً أمده بسلاح وهي الانياب والاظفار واللهث القوى ليذعر به السارق والمريب وليجتنب المواضع التى يحميها ثم انظر كيف جعل ظهر الدابة سطحا مثبتا على قوائم أربع لتمهيد الركوب والحمولة وجعل فرجها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضرابها اذ لوكان أسفل باطنها كالآدمي لم يتمكن الفحل منها ألا ترى أنه لايستطيع ان يأتيها كفاحا كما يأتى الرجل المرأة فتأمل هذه الحكمة والتدبير ولما كان فرج الفيلة تحت بطنها فاذا كان وقت الضراب ارتفع وبرز للفحل حتى يتمكن من اتيانها فلما لم يخلق في الموضع المخلوق في الانعام والبهائم خلقت فيه هذه الصفة ليقوم الامر

الذى به دوام التناسل وذلك من عظيم العبر ثم انظر كيف كسيت أجساد البهائم الشعر والوبر ليقيها ذلك الحر والبرد وغيره من الآفات وحملت قوائمها على الاظلاف والحوافر ليقيها ذلك من الحفا وما كان منها بغير ذلك جعلت له أخفاف تقوم مقام الحافر فى غيره ولما كانت البهائم لا اذهان لها ولا كف ولا أصابع تنهيأ للاعمال كفيت مؤنة مايضر بها بان جعلت كسوتها فى خلقتها باقية عليها مابقيت فلا تحتاج الى استبدالها ولا تجديد بغيرها بخلاف الآدمى فانه ذو فهم وتدبير وأعضاء مهيأة لأعمال مايقترحه وله فى اشغاله بذلك صلاح وفيه حكمة فانه خلق على قابلية لفعل الخير والشر وهو الى فعل الشر أميل منه الى فعل الخير فجعلت الاسباب التى يحصل بها ماهو محتاج اليه ليشتغل بها عما فيه فساده وهلاك دينه فانه لو أعطى الكفاية في كل أحواله أهلكه الاشر والبطر وكان من أعظم الحيوانات فساداً في الارض ولتصرف بعقله الذى هو مخلوق لينال به السعادة الى مافيه شقاوته ثم ان الآدمى مكرم يتخير من ضروب الملابس ماشاء فيلبس منها ماشاء ويخلع منها ماشاء ويتزين بها ويتجمل ويتلذذ منها بما يشاء ويكمل بها زينته وجماله وبهاءه في عين من يصحبه ويحب قربه ويطيب بذلك رائحته وينعش نفسه وهذا من باب النعمة عليه والكرامة له بخلاف البهائم فانها غنية عن هذا كله . انظر فيما ألهم الله البهائم والوحوش في البرارى فانها توارى أنفسها كما يوارى الناس موتاهم فما أحس منها بالموت توارى بنفسه الى موضع يحتجب فيه حتى يموت والا فأين جثث السباع والوحوش وغيرها فانك لو طلبت منها شيئاً لم تجده وليست قليلة فيخفي أمرها لقلتها بل لو قال قائل انها أكثر من الانس لم يبعد لان الصحاري قد امتلأت من سباع وضباع وبقر وحمير ووعل وابل وخنزير وذئاب وضروب من الهوام والحشرات وأصناف من الطير وغير ذلك مما لا يحصى عدده وهذه الاصناف فى كل يوم يخلق منها

ويموت منها ولا يري لها رمم موجودة والذى أجرى الله به عادته أن تكون في أماكنها فاذا أحست بالموت أتت الى مواضع خفية فتموت فيها فانظر هذا الامر الذي ألهمه هذه الاصناف في دفن جثثها بما فطرت عليه وشخص لبنى آدم بالفكر وانتروى. تأمل الدواب كيف خلقت أعينها شاخصة أمامها لتنظر ما بين يديها فلا تصدم حائطا ولا تتردى في حفرة واذا قربت من ذلك نفرت منه وأبعدت نفسها عنه وهى جاهلة بعاقبة مايلحقها منه أليس الذى جبلها على ذلك أراد صلاحها وسلامتها لينتفع بها ثم انظر الي فمها مشقوقا الى أسفل الخطم لتتمكن من نيل العلف والرعى ولو جعل كفم الانسان لم تستطع أن تتناول شيئاً من الارض وأعينت بالجحفلة لتقصم بها ماقرب منها فألهمت قصم ما فيه صلاحها وترك ما لا غذاء لها فيه ولا صلاح انظر ما كان من البهائم كيف يمزز الماء فى شربه مزاً وكيف خلقت فيه شعرات حول فمه يدفع بها ما كان على وجه الماء من القذى والحشيش ويحركها تحريكا يدفع به الكدر عن الماء حتى يشرب صفوه فتقوم لها هذه الشعرات مقام فم الانسان ثم انظر الى ذنب البهيمة وحكمته وكيف خلق كأنه غطاء فى طرفه شعر فمن منافعه أنه بمنزلة الغطاء على فرجها ودبرها ليسترها ومنها أن ما بين دبرها وطريق بطنها أبداً يكون فيه وضر يجتمع بسببه الذباب والبعوض ويجتمع أيضاً على مؤخرها فأعينت على دفع ذلك بتحريك ذنبها فصار كأنه مذبة فى يدها تذب بها وتطرد عنها ما يضر بها ثم انها تعطف برأسها فتطرد به ما فى مقدمها من الذباب أيضاً ثم ان الدابة أيضاً أعينت بحركة مختصة وذلك أن الذباب اذا وقع عليها فى مواضع بعيدة من رأسها وذنبها حركت ذلك الموضع من جلدها تحريكا تطرد به الذباب وغيره عنها وذلك من عجيب الحكمة فيما لا ينتفع بيدين ومن الحكمة فيه أيضاً أن الدابة تستريح بتحريكه يمنة ويسرة لانها لما كان قيامها على

أربع اشتغلت يداها أيضاً بالحمل لبدنها والتصرف فجعل لها فى تحريك ذنبها منفعة وراحة وأعينت بسرعة حركته لئلا يطول المها بما يعرض لها ومن الحكمة فيه أن البهيمة اذا وقعت في بركة أو مهواة أو وحلت فى طين أو غيره فلا تجد شيئاً أهون على نهوضها وخلاصها منه من الرفع بذنبها ومن ذلك اذا خيف على حملها أن ينقلب على رقبتها عند هبوطها من مكان مصبوب أو ليسبقها رأسها فتنكب على وجهها فيكون مسكها بذنبها فى هذه المواضع يمدلها ويعينها على اعتدال سيرها وسلامتها مما خيف منه عليها الى غير ذلك من مصالح لا يعلمها الا الحكيم العليم. انظر الى مشفر الفيل وما فيه من الحكمة والتدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف وايصاله الى فمه فلو لا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئاً في الارض اذ لم تجعل له عنق يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق في هذا الخلق جعل له هذا الخرطوم يمده فيتناول به ما يحتاجه فسبحان اللطيف الخبير، انظر كيف جعل هذا الخرطوم وعاء يحمل فيه الماء الى فمه ومنخراً يتنفس منه وآلة يحمل بها ما أراد على ظهره أو يناول من هو راكب عليه انظر الى خلق الزرافة لما كان منشأها فى رياض شاهقة خلق لها عنقا طويلا لتدرك قوتها من تلك الاشجار تأمل فى خلق الثعلب فانه اذا حفر له بيتاً في الارض جعل له فوهتين احدهما يتسرب منها والاخرى يهرب منها ان طلب ويرقق مواضع فى الارض فى بيته فان طلب من المواضع المفتوحة ضرب برأسه في المواضع التى رققها فخرج من غير المنافذ وهي المواضع التى تحتها انظر ماخلق الله تبارك وتعالى في جبلته لصيانة نفسه، وجملة القول فى الحيوان ان الله تبارك وتعالى خلقه مختلف الطباع والخلق فما كان منه ينتفع الناس بأكله خلق فيه الانقياد والتذلل وجعل قوته النبات وما جعل منه للحمل جعله هادئ الطبع قليل الغضب منقاداً منفعلا على صور يتهيأ منه الحمل وما كان منه ذا

غضب وشر الا أنه قابل للتنظيم اذا نظم خلق فيه هذا القبول للتعليم ليستعين العباد بصيده وحراسته وأعين بآلات قد تقدم ذكرها ومن جملة ذلك الفيل فانه ذوفهم مخصوص به وهو قابل للتأنس والتعلم فيستعان به فى الحمل والحروب ومنها ماله غضب وشر الا أنه متأنس بالانسان لمنفعته كالهرة ومن الطير ماللناس به انتفاع لما فيه من الالفة والتأنس فمن ذلك الحمام يألف موضعه فتنقل بسببه الاخبار بسرعة اذا دعت حاجة الى ذلك وجعله الله سبحانه كثير النسل فيكون منه طعام ينتفع به ومن ذلك البازى فان طباعه تنتقل الى التأنس وان كان فى طبعه مباينا الا أنه لما علم الله أنه ينتفع بصيده جعل فيه القبول للتنظيم حتي خرج عن عادته وبقي يعمل مايوافق أصحابه وقت الصيد وماخفي من الحكم في خلق الله تعالى أكثر مما علم

(باب في حكمة خلق النحل والنمل والعنكبوت ودود القز والذباب وغير ذلك)

قال الله سبحانه وتعالى (ومامن دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ثم لى ربهم يحشرون) انظر الى النمل وما ألهمت له في احتشادها في جمع قوتها وتعاونهم على ذلك واعداده لوقت عجزها عن الخروج والتصرف بسبب حر أو برد والهمت فى تقلب ذلك من الحزم مالم يكن عند من يعرف العواقب حتى تراها في ذلك اذا عجز بعضها عن حمل مايحمله أوجهد به اعانه آخر فيه فصارت متعاونة على الثقل كما يتعاون الناس على العمل الذى لايتم الا بالتعاون ثم انها ألهمت حفر بيوت في الارض تبتدئ فى ذلك باخراج ترابها وتقصد الى الحب الذي منه قوتها فتقسمه خشية أن ينبت بنداوة الارض فمن خلق هذا في جبلتها الا الرحمن الرحيم ثم اذا أصاب الحب بلل أخرجته فنشرته حتي يجف ثم انها لاتتخذ البيوت الا فيما علا من الارض خوفا من السيل ان يغرقها ثم انظر الى النحل وما ألهمت اليه

من العجائب والحكم فان البارى سبحانه جعل لها رئيساً تتبعه وتهتدي به فيما تناله من أقواتها فان ظهر مع الرئيس الذى تتبعه رئيس آخر من جنسه قتل احدهما لآخر وذلك لمصلحة ظاهرة وهو خوف الافتراق لانهما اذا كانا أميرين وسلك كل واحد منهما فجا افترق النحل خلفهما ثم انها الهمت ان ترعى رطوبات من أعلى الازهار فتستحيل في أجوافها عسلا فعلم من هذا التسخير مافيه من مصالح العباد من شراب فيه شفاء للناس كما أخبر سبحانه وتعالى وفيه غذاء وملاذ للعباد وفيه من أقوات فضلات عظيمة جعلت لمنافع بنى آدم فهي مثل مايفضل من اللبن الذى خلق لمصالح أولاد البهائم وأقواتها ومافضل من ذلك ففيه من البركة والكثرة ماينتفع به الناس . ثم انظر ماتحمله النحل من الشمع بارجلها لتوعى فيه العسل وتحفظه فلا تكاد تجد وعاء أحفظ للعسل من الشمع في الاجناح . انظر في هذه الذبابة هل فى علمها وقدرتها جمع الشمع مع العسل أو عندها من المعرفة بحيث رتبت حفظ العسل مدة طويلة باستقراره فى الشمع وصيانته في الجبال والشجر في المواضع التي تحفظه ولا يفسد فيها ثم انظر لخروجها نهاراً لرعيها ورجوعها عشية الى أماكنها وقد حملت ما يقوم بقوتها ويفضل عنها ولها فى ترتيب بيوتها من الحكمة فى بنائها حافظ لما تلقيه من أجوافها من العسل ولها جهة أخرى تجعل فيها برازها مباعداً عن مواضع العسل وفيها غير هذا مما انفرد الله بعلمه . انظر الى العنكبوت وماخلق فيها من الحكمة فان الله خلق في جسدها رطوبة تنسج منها بيتا لتسكنه وشركا لصيدها فهو مخلوق من جسدها وجعل الله غذاءها من أقواتها ينصرف الى تقويم جسدها والى خلق تلك الرطوبة المذكورة فتنصبه أبداً مثل الشرك وفى ركن الشرك بيتها وتكمن في بيتها بحيث يغيب شخصها والشرك من خيوط رقاق تلتف على أرجل الذباب

والناموس وما أشبه ذلك فاذا أحست أن شيئاً من ذلك وقع في شركها خرجت اليه بسرعة وأخذته محتاطة عليه ورجعت الى بيتها فتقتات بما يتيسر لها من رطوبة تلك الحيوانات وان كانت مستغنية فى ذلك الوقت شكلته وتركته الي وقت حاجتها فانظر ما جعل الله فيها من الاسباب لحصول قوتها فبلغت فى ذلك ما يبلغه الانسان بالفكرة والحيلة كل ذلك لصلاحها ولنيل قوتها ولتعلم أن الله هو المدبر لهذا . ثم انظر من العجائب دود القز وما خلق فيه من الاشياء التى يتحير منها ويذكر الله عند رؤيتها فان هذا الدود خلق لمجرد مصلحة الانسان ومنافعه فان هذا الحيوان الذي يخلق من جسمه الحرير وذلك أن صورة البزر تحضن حتى اذا حمى عاد دوداً كالذر فيوضع هذا الدود على ورق التوت فيغتذى منه فلا يزال يرعى منه حتي يحفر جسمه فينبعث الى غزل جوز الحرير فلا يزال كذلك حتي يفنى جسمه وتعود جوزة حرير ويصير هو جسما ميتا لا حياة فيه . ثم انظر فان البارى سبحانه لما أراد حفظ هذا الجنس ببقاء نسله فعند ما ينتهى من غزل الحرير ويبقى ذلك الجسم يقلبه الله الى صرة طائر صغير قريب من صورة النحل فيجمع على بساط أو غيره وهو في رأي العين جنس واحد لا يتميز منه الذكر من الانثي فيعلو الذكر منه على ظهر الانثى ويقيم لحظة على ظهرها فتحبل لوقتها وتلد لوقتها مثل ذلك البزر الذى حضن أولا ثم يطير فيذهب فلا يبقى بها انتفاع اذ قد حصل منها المقصود وهو ذلك البزر فانظر من ألهمها الرعى من ذلك الورق حتى تربت منه ومن ألهمها الى غزل أجسادها حريراً حتى يعني بما غزلته ومن ربى لها أجنحة وقلب صورتها حتي صارت على هيئة يمكن فيها اجتماع الذكر والانثى لتناسلها ولو بقيت على صورتها الاولى لم يأت منها تناسل ولا هذا الاجتماع ثم انظر ما يسره الباري سبحانه من عمل ما غزلته هذه

الدودة على من يعمله من بني آدم حتى يكون منه أموال كثيرة وملابس عظيمة وزينة وانظر هذا التسخير العجيب في هذا الحيوان اللطيف وما أظهر فيه سبحانه من بديع الصنع وعجيب الفعل وعظيم الاعتبار وما جعل فيه من البرهان والآيات على بعث الاموات واعادة العظام الرفات سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم. ثم انظر للذبابة وما أعينت به في نيل قوتها فانها خلقت بأجنحة تسرع بها الى موضع تنال فيه قوتها وتهرب بها عما يهلكها ويضربها وخلق لها ستة أرجل تعتمد على أربع وتفضل اثنتين فان أصابها عثار مسحته بالرجلين اللذين تليهما وذلك لرقة أجنحتها ولان عينيها لم يخلق لهما اهداب لانهما بارزتان عن رأسها وجعل هذا الحيوان وما جرى مجراه مما يتعلق ببني آدم ويقع عليهم دائما وينغص عليهم عيشهم ليعرفهم الباري سبحانه هوان الدنيا حتى تصغر عندهم ويهون أمر فراقها وهو وجه من وجوه الحكمة عليهم تأمل كثيراً من الحيوان الصغير عند ما تلمسه يعود كانه جماد لا حراك به ويبقى على ذلك ساعة ثم يتحرك ويمشي وهل ذلك الا لان ما يصطاد انما يصطاد اذا دلت هيئته على عدم حياته فاذا كان شبيها بالجماد ترك كما تترك سائر الحجارة. تأمل العقاب عند ما يصطاد السحلفاة يجدها كانها حجر ولا يجد فيها موضعا لا كله فيصعد بها في مخالبه حتى اذا بعد من الارض اعتدل بها على جبل أو حجارة وأرسلها فتهشمها الوقعة فيسقط عليها فيأكلها فانظر كيف الهم الطريق في نيل قوته من غير عقل ولا روية انظر الى الغراب لما كان مكروها خلق في طبعه الحذر لصيانة نفسه حتى كان يعلم الغيب فيمن يقصده والهم الاحتيال في اخفاء عشه لصون فراخه وقل احتفاله بالانثى خشية أن تشغله عن شدة حذره ولذلك قل ان يرى مجتمعا مع أنثى فهذا أبداً دأبه وحاله مع من له عقل وفطنة وتراه مع البهائم على خلاف ذلك فيقف على ظهورها ويأكل من دم البعير ومن أدواء الدواب

وقت تبرزها واذا وجد شيئا من قوته وأكل منه وشبع دفن باقيه حتى يعاوده وقتا آخر فمن خلق هذا في طبعه ودبره بهذا التدبير العجيب الا الله لانه لا عقل له ولا روية . أنظر الى الحدأة لما كانت مكروهة حفظت نفسها بقوة طيرانها وتعاليها وحفظت في أمر قوتها بقوة بصرها فانها ترى ما تقتات به في الارض مع علوها في الجو فتنحط نحوه بسرعة والهمت معرفة من هو مقبل ومن هو مدبر فتخطف ما تخطفه من الناس من ورائهم ولا تخطف مما يستقبلها لئلا يمنعها المستقبل بيديه وأعينت لما كان غذاؤها من هذه الوجوه بأن جعلت لها مخالب كانهم السنانير لا يكاد يسقط منها ما ترفعه فسبحان المدبر الحكيم . انظر الى الحيوان المسمى حرباء وما فيه من التدبير فانه لما خلق بطيئا في نهضته وكان لا بد له من قوته خلق على صورة عجيبة فخلقت عيناه تدور لكل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة في جسده ولا قصد اليه ويبقى جامداً كانه ليس من الحيوان ثم اعطى مع السكون أن يتشكل في لون الشجرة التي يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب أو غيره أخرج لسانه فيخطف ذلك بسرعة خفوق البرق ثم يعود على حاله كانه جزء من الشجرة وجعل الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق به ما بعد عنه بثلاثة أشبار أو نحوه فقد سخر له ما يصطاد به على هذه المسافة واذا رأى ما يريعه ويخيفه تشكل على هيئة وشكل ينفره به من يصطاده من الحيوان ويكرهه فانظر هذه التي خلقت فيه لاجل قلة نهضته فاعين بها . انظر الى الحيوان الذي يسمى سبع الذباب وما أعطى من الحيلة والرفق فيما يقتات به فانك تجده يحس بالذباب قد وقع قريبا منه فيركد مليا حتى كانه ميت أو جماد لا حراك به فاذا أحس ان الذباب قد اطمأن دب دبيبا رقيقا حتي لا ينفره حتي اذا صار قريبا منه بحيث يناله بوثبة وثب عليه فأخذه فاذا أخذه

اشتمل عليه بجسده كله خشية ان يتخلص منه الذباب فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس ببطلان حركته فيقبل عليه فيغتذى منه بما يلائمه منه فانظر الى هذه الحيلة أهي من فعله أو هى مخلوقة من أجل رزقه فسبحان البارى الحكيم. انظر الى الذر والبعوض الذى أوهن الله قوتها وأصغر قدرها وضرب بها المثل في كتابه هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها من جناح تطير به ورجل تعتمد عليها وبصر تقصد به موضعا تنال فيه قوتها وآلة لهضم غذائها واخراج فضلته وانظر هل يمكن ان يعيش من غير قوت وهل يمكن ن يكون القوت في غير محل واحد واخراجه فضلته من غير منفذ ثم انظر كيف دبرها العزيز الحكيم فسواها وقدر أعضاءها واستودعها العلم والمعرفة بمنافعها ومضارها وكله دليل على علمه وقدرته وحكمته البالغة فهى بعوضة صغرت فى النظر ومع هذا فلو ان أهل السموات والارض من الملائكة فمن دونهم من العالمين وسائر الخلق أجمعين ارادوا ان يعرفوا كيف قسم الخالق سبحانه أجزاءها وحسن اعتدال صورتها فى أعضائها لما قدروا على ذلك الا تظاهراً لمنظر العجز منهم على عدم علم حقيقة الخبر ولو اجتمعوا ثم تفكروا كيف ركبت معرفتها حتى عرفت أن ما بين الجلد واللحم دما وهو الذى هو غذاؤها ولولا معرفتها به لم تقدم على مصه حتى تطعمه وكيف همتها التي قصدت بها أن تطير الى الموضع الذى ألهمها ربها أن فيه غذاءها وكيف خرق سمعها وكيف سمعت حس من يقصدها وكيف عرفت أن نجاتها في الفرار اذا ولت هاربة ممن قصدها فلن يدرك ذلك منها الخلائق أجمعون ولو جزؤها ما ازدادوا فى أمرها إلا عمى وبعداً عن المعرفة فهذه الحكمة والقدرة فى بعوضة فما ظنك بجميع مخلوقاته سبحانه وتعالى علواً كبيراً

﴿ باب فى حكمة خلق السمك وما تضمن خلقها من الحكم ﴾

قال الله تعالى (وهو الذى سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا) انظر واعتبر بما خلق الله تعالى فى البحار والانهار من الحيوان المختلف الصور والاشكال وما فيه من الآيات البينات فانه تعالى لما جعل مسكنه فى الماء لم يخلق له قوائم ولم يخلق فيه رئة لانه لا يتنفس وهو منغمس فى لجة الماء وخلقت له مكان القوائم أجنحة شداد يحركها من جانبه فيسير بها حيث شاء وكسا جلده كسوة متداخلة صلبة تخالف لحمه متراصة كأنها درع لتقيه ما يعمد اليه وما يؤذيه وما لم يخلق له من السمك تلك الكسوة وهي القشر المتداخل المخلوق على ظاهره خلق له جلداً غليظاً منقنا يقوم له مقام تلك الكسوة لغيره وخلق له بصراً وسمعا وشما ليستعين بذلك على نيل قوته والهرب مما يؤذيه . وانظر كيف أعطي فى قعر البحر ما يناسبه فى نيل القوت والهرب مما يضره ولما علم الله سبحانه أن بعضه غذاء لبعض كثره وجعل أكثر أصنافه يحمل ولم يجعل الحمل منه مخصوصا بالانثي دون الذكر كحيوان البر بل جعل الذكر والانثى جنساً واحداً يخلق فى بطونها مرة واحدة في وقت معلوم ذريعة مجتمعة مشتملة على عدد لا ينحصر فيخلق من جوف واحدة عدداً لا يحصي وذلك من كل بزرة حوتا من الجنس ومن جنس آخر يخلق في الانهار وغيرها بغير توالد فيخلق منها أعداداً لا تحصر دفعة واحدة ومنه صنف يتوالد بالذكر والانثي وهذا الجنس يخلق له يدان ورجلان مثل السحلفاة والتمساح وماشا كلهما فيتولد منهما بيض فاذا تقلص البيض بحرارة الشمس خرج من كل بيضة واحد من الجنس ولما علم الله سبحانه وتعالى أن السمك فى البحر لا يمكن أن يحضن ما يخرج من بزره ألقى الروح في بزر جميعه عند ما يولد فيجد فيه جميع ما يحتاجه من الاعضاء عند إلقاء الروح فيه فيستقل ولا يفتقر الى أحد في كمال خلقه فانظر

هذه الحكمة واللطف حيث لم يمكن حضانته فى البحر ولا تربيته ولا معونته البتة جملة مستقلا بنفسه مستغنيا عن ذلك كله ثم ان الله سبحانه كثره لان منه قوت جنسه وقوتا لبنى آدم والطير فلذلك كان كثيرا ثم انظر الى سرعة حركته وان لم تكن له آلة كغيره من الحيوان وانظر الى حركة ذنبه وانقسامه وكيف يعتدل بذلك في سيره كما تعتدل السفينة برجلها في سيرها وخلقت ارياشه ألواحا من جانبيه ليعتدل بهما أيضاً في سيره فهو بمنزلة المركب وانظر الى عظامه كيف خلقت مثل العمد يبنى عليها ففي كل موضع منه ما يليق به من صورة العظم المشاكل لذلك العضو فهو كانشاء المركب يمتد العظم الجافي الذي هو قوته ويخرج من أضلاع الى مراق البطن والظهر وعظام الرأس بحتاج اليه من الامر وبه قوامه وانظر الى ما كان منه كاسراً كيف أعين على نيل قوته بصلابة اللحم وقوة النهضة وكثرة الاسنان حتى انه لكثرة أسنانه تكون العضة الواحدة تجزيه عن المضغ . انظر الى ما خلق الله فى البحر ضعيفا قليل الحركة مثل أصناف الصدف والحلزون كيف حفظ بأن خلق عليه ذلك الحصن الذي هو صاب كالرخام ليصونه ويحفظه وجعله له بيتا وسكنا وجعل ما يلى جسده ناعماً انعم ما يكون وربما ضرب بيت بعض أصناف الحلزون حتى لا يكون فيه مطمع البتة وأصناف منه خلقت في محائر مفتوحة لا يمكن صيانتها لنفسها لتغلقها ولا يضيق مسلكها فجعل الله لها من الجبال والحجارة مغطا وجعل لها أسبابا تلتصق بها فى الجبل فلا يستطاع اخراجها الا بغاية الجهد وجعل لها قوتا من رطوبات الجبل تأتى حياتها بذلك واما الحلزون الذي بيته كأنه كوكب فانه يخرج رأسه يرعى فاذا أحس بما يؤذيه أدخل رأسه في بيته وختم عليه بطابع صاب يقرب من صلابة بيته فيغيب أثره بالجملة فانظر هذا اللطف وان الله لم يهمل شيئا واعلم ان الله حافظ لما فى البحار وما في الآكام والجبال فتبارك الذي

أعطي كل شئ خلقه ثم هدى . وانظر الى أنواع من السمك يرعى قرب البر الصغير منها والجافي في الاعماق وقد خلق الله في جوفه صبغا كانه حبر وهو يخلق له فيه من فضلة غذائه كما يخلق اللبن في الضرع فاذا أحس بما يؤذيه اخرج من جوفه ما يكدر موضعه ثم يذهب فى الماء الذى تغير فلا يعرف كيف ذهب ولا كيف طريقه من تغير الماء فعل الله ذلك له وقاية لنفسه وفعل فيه مصالح أخر لا يعلمها الا خالقها . انظر الي نوع آخر من السمك أعين باجنحة مثل أجنحة الخفاش ينتقل بها عند وقوع الانواء من موضع الى موضع فى الهواء من وجه الماء يظهر لمن لا يعرف ذلك أنه من طيور البر . انظر الى نوع آخر من أنواع السمك ضعيف وكثيراً ما يكون فى الانهار وجعل الله فيه خاصية تصونه اذا اقتربت منه تأخذه وفيه الروح تحدر البدن واليد فيعجز قاصده عن أخذه بذلك السبب فلو ملئت الكتب بعجائب حكم الله فى خلق واحد لامتلأت الكتب وعجز البشر عن استكمالها وما هو المذكور فى كل نوع تنبيه يشير الى أمر عظيم

﴿ باب فى حكمة خلق النبات وما فيه من عجائب حكمة الله تعالى ﴾

قال الله تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءإله مع الله بل هم قوم يعدلون) انظر وفقك الله وسددك الى ما على وجه الارض من النبات وما في نظره من النعيم في حسن منظره وبهجته ونضارته التى لا يعدلها شئ من مناظر الارض ثم انظر الى ما جعل البارى فيه من ضروب المنافع والمطاعم والروائح والمآرب التي لا تحصي وخلق فيه الحب والنوي مخلوقا لحفظ أنواع النبات وجعل الثمار للغذاء والتفكه والاتبان منها للعلف والرعى والحطب للوقود والاخشاب للعمارة وإنشاء السفن وغير ذلك من الاعمال التى يطول تعدادها

والورق والازهار والاصول والعروق والفروع والصموغ لضروب من المصالح لاتحصى أرأيت لو وجدت الثمار مجموعة من الارض ولم تكن تنبت على هذه السوق الحاملة لها ما كان يحصل من الخلل في عدم الاخشاب والحطب والاتبان وسائر المنافع وان وجد الغذاء بالثمرات والتفكه بها ثم انظر ما جعل الله فيها من البركات حتى صارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة وأكثر من ذلك وأقل والحكمة فى زيادتها وبركتها حصول الاقتيات وما فضل ادخر للامور المهمة والزراعات وذلك فى المثال كملك أراد عمارة بلدة فاعطي أهلها من البذر مايبذرونه وفضلة يتقوتون بها اذا ادرك زرعهم فهذه هى الحكمة التى عم الله بها البلاد وأصلح بها العباد وكذلك الشجر والنخل تزكو وتتضاعف ثمراتها حتى تكون من الحبة او احدة الشئ العظيم ليكون فيه ما يأكله العباد ويصرفونه في مآربهم ويفضل مايدخر ويغرس فيدوم جنسه ويؤمن انقطاعه ولولا نموه وبقاء مايخلفه لكان ما اصابته جائحة ينقطع فلا يوجد مايخلف . تأمل فى هذه الحبوب فانها تخرج في أوعية تشبه الخرائط لتصونها وتحفظها الى أن تشتد وتستحكم كما تخلق البشيمة على الجنين فأما البزر وما أشبهه من الحبوب فانه يخرج من قشور صلبة على رؤسها أمثال الاسنة ليمنع من الطير فانظر كيف حصنت الحيوانات بهذه الحصون وحجبت لئلا يتمكن الطير منها فيصيب بها وان كان يناله منها قوته الا أن حاجة الآدمي أشد وأولى . تأمل الحكمة فى خلق الشجر وأصناف النبات فانها لما كانت محتاجة الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوانات ولم يخلق فيها حركات تنبعث بها ولا آلات توصل اليها غذاءها جعلت أصولها مركوزة فى الارض لتجذب الماء من الارض فتغتذى بها أصولها وما علا منها من الاغصان والاوراق والثمار فصارت الارض كالام المربية لها وصارت أصولها وعروقها كالافواه الملتقمة لها وكأنها

ترضع لتبلغ منها الغذاء كما ترضع أصناف الحيوان من أمهاتها ألم تر الى عمد الخيم والفسطاط كيف يمتد بالاطناب من كل جانب ليثبت منصبته فلا يسقط ولا يميل فهكذا أمر النبات كله له عروق منتشرة فى الارض ممتدة الى كل جانب وتمسكه وتقيمه ولولا ذلك لم تثبت الاشجار العالية لا سيما فى الرياح العاصفة فانظر الى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة واقتدى الناس فى أعمالهم بحكمة الله في مصنوعاته.. وتأمل خلق الورق فانك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجا دقيقا عجيبا لو كان مما يصنع بأيدى البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة الا فى مدة طويلة وكان يحتاج فيه الى آلات وطول علاج فانظر كيف يخرج منه فى المدة القليلة ما يملأ السهل والجبال وبقاع الارض بغير آلة ولا حركة الا قدرة الباري وارادته وحكمه.. ثم انظر تلك العروق كيف تتخلل الورق بأسره لتسقيه وتوصل اليه المادة وهى بمنزلة العروق المبثوثة فى بدن الانسان لتوصل الغذاء الى كل عضو منه وأما ما غلظ من العروق فانها تمسك الورق بصلابتها وقوتها لئلا ينتهك ويتمزق ثم انظر الى العجم والنوي والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقامه اذا عدم ما يغرس أو عاقه سبب فصار ذلك كالشئ النفيس الذى يخزن في مواضع شتى لعظم الحاجة اليه فان حدث على الذى في بعض المواضع حادث وجد منه في موضع آخر ثم فى صلابته يمسك رخاوة الثمار ورقتها ولولاه لسرحت وسرح الفساد اليها قبل ادراكها وفي بعضها حب يؤكل وينتفع بدهنه ويستعمل فى مصالح. ثم انظر الي ما خلق الله تعالى فوق النواة من الرطب وفوق العجم من العنبة والهيئة التى تخرج عليها وما فى ذلك من الطعم واللذة والاستمتاع للعباد. ثم تأمل خلق الحب والنوى وما أودع فيه من قوة وعجائب كالمودع في الماء الذي يخلق منه الحيوان وهو سر لا يعلم

حقيقته الا الله سبحانه وما علم من ذلك يطول شرحه. ثم انظر كيف حفظ الحب والنوى بصلابة وخلقت فى ظاهره قشرة حتى أنه بسبب ذلك ان سقط فى تراب أو غيره لا يفسد سريعا واذا ادخر لوقت الذراعة بقي محفوظا فصار قشره الخارج حافظا لما فى باطنه بمنزلة شئ نفيس عمل له صندوق يحفظه وعند ما يوضع فى الارض ويسقى يخرج منه عرق في النوى وغصن فى الهوى وكلما ازداد غصنا ازداد عرقا تتقوى به أصل الشجرة وينصرف الغذاء منه الى الغصن فهي كذلك اذ يتم غصنها نموها فتكون الفروع محفوظة عن السقوط بالهوى والانكسار بالنقل أو بغيره ويصعد الماء في جذرها الى أعالى الشجرة فيقسمه الله سبحانه بالقسط وميزان الحق فينصرف للورق غذاء صالح له وللعروق المشتبكة فى الاوراق لاتصال الغذاء الى جوانب الورق ما يليق بغذائها وللثمار غذاء صالح لها وللاقماع واللحاء والازهار غذاء صالح لكل من ذلك ما يليق به ويصلحه فهو كذلك حتي يكمل فى الثمار نموها وطعمها ورائحتها وألوانها المختلفة وحلاوتها وطيبها ثم انظر كيف جعل الله سبحانه خروج الاوراق سابقا لخروج الثمار لان الثمرة ضعيفة عند خروجها تتضرر بحر الشمس وبرد الهواء فكانت الاوراق ساترة لها وصار مابينها من الفرج لدخول أجزاء من الشمس والهواء لاغنى للثمرة عنها فيحفظها ذلك من المن والعفن وغير ذلك من الفساد. ثم انظر كيف رتب الباري سبحانه الاشجار والثمار والازهار وجعلها مختلفة الالوان والاشكال والطعوم والروائح فاشكالها مابين طويل وقصير وجليل وحقير وألوانها مابين أحمر وأبيض وأصفر وأخضر ثم كل لون منها مختلف الى شديد وصاف ومتوسط وطعومها مابين حلو وحامض ومزوتفه ومر وروائحها الى عطرات لذيذات مختلفات وقد أوضح الكتاب العزيز من ذلك ماذكرناه بما يشرح الصدور ويكشف

للمتأمل منه كل مستور فانظر ما أودع الباري سبحانه فيها من السر عند النظر اليها فانها تجلى عن القلوب درنها عند مشاهدتها وتنشرح الصدور برؤيتها وتنتعش النفوس لرونق بهجتها وأودع الله سبحانه فيها منافع لا تحصى مختلفة التأثير فمنها ما تقوي به القلوب ومنها أغذية تحفظ الحياة وجعلها مطعومة لذيذة عند تناولها وخلق فيها بزورا لحفظ نوعها تزرع عند جفافها وانفصال وقت نضارتها انظر وتأمل ما في قوله عز وجل (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) فأخرج سبحانه فيما بين الحجر والماء زيتا صافيا لذيذا نافعا كما أخرج اللبن من بين فرث ودم ومن أخرج من النحل شرابا عسلا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس ولو جمعت هذه الاشياء في مستقر لكانت مثل الانهار وكل ذلك لمنافع العباد فانظر ما فيه من العبرة لذوي الافكار ثم نظر الى الماء الصاعد من العروق الراسخة الحافظة للاعلى من الشجرة وكيف قسم الباري في غذاء النخلة فقسم للجذر ما يصلح لها وللجريد وما فيه من السل ما يصلح لها ويناسب جريدها ويرسل للثمرة ما يليق بها وكذلك الليف الحافظ للاصول مع الثمرة وجعل الثمرة لما كانت ضعيفة في أول أمرها متراصة متراكمة بعضها فوق بعض مجموعة في غلاف متقن يحفظها مما يفسدها ويغيرها حتى اذا قويت صلحت ان تبرز للشمس والهواء فانشق عنها غلافها على التدريج وهو الذي كان حافظا لها فيصير يفترق شيئا بعد شيء على قدر ما تحتمله الثمرة من الهواء والشمس حتى تكمل قوتها فتظهر جميعها حتى ما يضربها ما يلقاها من حر وبرد ثم تراها في النضج والطيب الى بلوغ الغاية المقصودة منها فيلتذ حينئذ بأكلها ويمكن الانتفاع بادخارها وتصرف في المآرب التي هيئت لها واعتبر ذلك في جميع الاشجار فانك ترى فيها من أسباب الحفظ ولطائف الصنع ما يعتبر به كل ذي فهم ولب. فمن ذلك خلق الرمانة وما فيها من غرائب

التدبير فانك ترى فيها شحما مركوما في نواصيها غليظ الاسفل رقيق الاعلا كأمثال التلال فى تلوينه أو البناء الذى وسع أسفله للاستقرار ورق أعلاه حتى صار مرصوفا رصفا كانه منضد بالايدى بل تعجز الايدى عن ذلك التداخل الذى نظم حبها فى الشحم المذكور وتراه مقسوما اقساما أقساما وكل قسم منه مقسوم بلفائف رقيقة منسوجة أعجب نسج والطفه لتحجب حبها حتى لا يلتقي بعضه ببعض فيفسد ولا يلحق البلوغ والنهاية وعليها قشر غليظ يجمع ذلك كله ومن حكمة هذه الصنعة ان حبها لو كان حشوها منه صرفا بغير حواجز لم يمد بعضه بعضا في الغذاء فجعل ذلك الشحم خلاله ليمده بالغذاء ألا ترى أصول الحب كيف هي مركوزة فى ذلك الشحم ممدودة منه بعروق رقاق توصل الى الحب غذاءها والى كل حبة حبة غذاءها ومن رقتها وضعفها لا تقدر على الآكل ولا تعرف بها. ثم انظر ما يصير من الحلاوة فى الحب من أصول مرة شديدة المرارة قابضة ثم تلك اللفائف على الحب تمسكه عن الاضطراب وتحفظه ثم حفظ الجميع وغشاه بقشر صلب شديد القبض والمرارة وقاية له من الآفات فان هذا النوع من النبات للعباد به انتفاعات وهو ما بين غذاء ودواء وتدعو الحاجة اليه في غير زمانه الذى يجني فيه من شجره فحفظ على هذه الصفة لذلك. انظر الى عود الرمانة الذى هى متعلقة به كيف خلق مثبتا متقنا حتى تستكمل خلقها فلا تسقط قبل بلوغها الغاية المحتاج اليها وهى من الثمرة المختصة بالانسان دون غيره من الحيوان. انظر الى النبات الممتد على وجه الارض مثل البطيخ واليقطين وما أشبه ذلك وما فيه من التدبير فانه لما كان عود هذا النبات رقيقا ربما اذا احتياج الى الماء لا ينبت الا به جعل ما ينبت به منبسطا على وجه الارض فلو كان منتصبا قائما كغيره من الشجر لما استطاع حمل هذه الثمار مع طراوة عودها ولينها فكانت تسقط قبل بلوغها وبلوغ غاياتها فهي تمتد على وجه الارض لبلوغ الغاية وتحمل

الارض عودها وأصل الشجرة والسقي بمدها. وانظر هذه الاصناف كيف لا تخلق الا في الزمن الصالح لها ولمن تناولها فهي له معونة عند الحاجة اليها ولو أتت في زمان البرد لنفرت النفوس عنها ولاضرت بأكثر من يأكلها ثم انظر الى النخل لما كانت الانثى منه تحتاج الى التلقيح خلق فيها الذكر الذي تحتاج اليه لذلك حتى صار الذكر في النخل كأنه الذكر في الحيوان وذلك ليتم خلق ما بزراعته تحفظ أصول هذا النوع. ثم انظر ما في النبات من العقاقير النافعة البديعة فواحد يفور في البدن فيستخرج الفضلات الغليظة وآخر لاخراج المرة السوداء وآخر للبلغم وآخر للصفراء وآخر لتصريف الريح وآخر لشد البطن في الطبيعة وآخر الاسهال وآخر القيء وآخر لروائحه وآخر للمرضى والضعفاء وكل ذلك من الماء فسبحان من دبر ملكه بأحسن التدبير

﴿باب ما تستشعر به القلوب من العظمة لعلام الغيوب﴾

قال الله العظيم (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا) وقال تعالى (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض) وقال تعالى (ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته). اعلم وفقنا الله واياك أن جميع ما تقدم ذكره في هذا الكتاب من بدائع الخلق وعجائب الصنع وما ظهر في مخلوقاته من الحكم آيات بينات وبراهين واضحة ودلائل دالات على جلال باريها وقدرته ونفوذ مشيئته وظهور عظمته فانك اذا نظرت الى ما هو أدنى اليك وهي نفسك رأيت فيها من العجائب والآيات ما سبق التنبيه عليه وأعظم منه ثم انك اذا نظرت الى مستقرك وهي الارض وأجلت فكرك فيها وأطلت النظر في استرسال ذهنك فيما جعل فيها وعليها من جبال شامخات وما أحيط بها من بحار زاخرات وما جرى فيها من الانهار وما أنبت

فيها من أصناف النباتات والاشجار وما بث فيها من الدواب الى غير ذلك مما يعتبر به أولو الالباب . ثم اذا نظرت الى سعتها وبعد أكنافها وعلمت عجز الخلائق عن الاحاطة بجميع جهاتها وأطرافها ثم نظرت فيما ذكرته العلماء من نسبة هذا الخلق العظيم الى السماء وأن الارض وما فيها بالنسبة الى السماء كحلقة ملقاة فى أرض فلاة وما ذكره النظار من أن الشمس في قدرها تزيد على قدر الارض مائة ونيفا وستين جزءً وان من الكواكب ما يزيد عن الارض مائة مرة ثم انك ترى هذه النيرات كلها من شمس وقمر ونجوم قد حوتها السموات وهي مركوزة فيها ففكر فى السماء الحاوية لهذا القدر العظيم كيف يكون قدرها ثم انظر كيف ترى الشمس والقمر والنجوم والسماء والجامعة لذلك فى حدقة عينك مع صغرها وبهذا يعرف بعد هذا كله منك وعظم ارتقائه ولاجل البعد ترى هذه النيرات صغيرة في رأى العين ثم انظر الى عظم حركتها وأنت لا تحس بها ولا تدركها لبعدها ثم انك لا تشك ان الفلك يسير في لحظة قدر كوكب فيكون سيره في لحظة قدر الارض مائة مرة وأكثر من ذلك وأنت غافل عن ذلك . ثم فكر في عظم قدر هذه الاشياء واسمع قسم الرب سبحانه بها في مواضع من الكتاب العزيز فقال عز وجل (والسماء ذات البروج) (والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب) وقال (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم) الي غير ذلك من الآي ثم ترق بنظرك الي ماحواه العالم العلوي من الملائكة وما فيهامن الخلق العظيم وما أخبر به جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم عن اسرافيل عليه السلام بقول جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل وان العرش لعلى كاهله وان رجليه لفي تخوم الارض السفلى وأعظم من هذا كله قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات والارض) فما ظنك بمخلوق وسع هذا الامر العظيم فارفع نظرك الى بارئ

هذا العظيم واستدل بهذا الخلق العظيم على قدر هذا الخالق العظيم وعلى جلاله وقدرته وعلمه ونفوذ مشيئته واتقان حكمته في بريته وانظر كيف جميع هذا الصنع العظيم ممسوك بغير عمد تقله ولا علائق من فوقه ترفعه وتثبته فمن نظر في ملكوت السموات والأرض ونظر في ذلك بعقله وليه استفاد بذلك المعرفة بربه والتعظيم لامره وليس للمتفكرين الى غير ذلك سبيل وكلما ردد العقل الموفق النظر والتفكر في عجائب الصنع وبدائع الخلق ازداد معرفة ويقينا واذعانا لبارئه وتعظيما ثم الخلق في ذلك متفاوتون فلكل مثل من ذلك على حسب ماوهبه له من نور العقل ونور الهداية وأعظم شيء موصل الى هذه الفوائد المشار اليها تلاوة الكتاب العزيز وتفهم ماورد فيه وتدبر آياته مع ملازمة تقوى الله سبحانه فهذا هو باب المعرفة بالله واليقين بما عند الله . ثم انظر وتأمل ماذا شير اليه فانك علمت على الجملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسري به الى ان بلغ المنتهي ورأى من آيات ربه الكبري وأطلع على ملكوت ربه وتحقق أمر الآخرة والاولى ودنى من ربه حتي كان كقاب قوسين أو أدنى فما ظنك بعلم من شرف بهذا المعنى ثم أمر بأن يقول (وقل رب زدني علما) وعلمك بمعرفته ومن عليك بنور هدايته واستعملنا واياك بطاعته وجعلنا بكرمه أجمعين من أهل ولايته بمنه وكرمه وجوده أنه ولي ذلك . . تم كتاب الحكمة في مخلوقات الله عز وجل سبحانه وتعالى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

893.7G34
R4

Q1312779

AUG 24 1964

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58869450
893.7G34 R4 Kitab al-Hikmah fi m

893.7G34 - R4